سُورَةُ الأَنْفَالِ

مدنية؛ [إلاَّ من آيَةِ ٣٠ إِلَىٰ غَايَةِ آيَةِ ٣٦ فَمَكِّيَةٌ]

وَهِيَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ البَقَرَةِ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

النفل: الغنيمة؛ لأنها من فضل الله ـ تعالى ـ وعطائه؛ قال لبيد [من الرمل]:

إِنَّ تَـقْـوَىٰ رَبِّـنَـا خَـيْـرُ نَـفَـلْ[1] .....

---

(١) إن تـقـوى ربـنـا خـيـر نـفـل ... وبـإذن الله ريـثـي وعـجـل
أحـمـد الله فـلا نـد لـه ... بـيـديـه الـخـيـر مـا شـاء فـعـل
مـن هـداه سـبـل الـخـيـر اهـتـدى ... نـاعـم الـبـال ومـن شـاء أضـل

للبيد بن ربيعة العامري، شبه الثواب الذي وعده الله عباده على التقوى بالنفل ـ بالتحريك ـ وهو ما يعده الإمام المجاهد تحريضاً على اقتحام الحرب فاستعار النفل له على طريق التصريحية وأخبر به عن التقوى لأنها سببه. ويجوز استعارة النفل للتقوى بجامع النفع، وبإذن الله وتسهيله. ريثي: أي بطئي، وعجل: أي سرعتي، فحذفت ياء الإضافة للوزن، فلا ند: أي لا مثل له، بيديه: أي بقدرته التي هي كالآلة في أفعاله تعالى كاليدين لأفعالنا. ويحتمل أنه شبه خزائنه سبحانه باليد فيها شيء، لسهولة تصرفه فيما فيها واختصاصه به، فالباء بمعنى في. وتثنية اليد للمبالغة في التشبيه. ولا مانع من جعله ترشيحاً للاستعارة على الوجهين. «ما شاء فعل» أي ما أراده فعله، وبين ذلك بقوله: «من هداه طرق الخير اهتدى» حتماً حال كونه طيب الشأن. ومن شاء إضلاله أضله حتماً، أي تركه ونفسه ومنعه لطفه، حتى يضل حال كونه كاسف البال أي حزين القلب في العاقبة، فهي حال منتظرة «أو سيء الحال والشأن، وهذا محذوف معلوم من المقابلة بما قبله.

ينظر ديوانه (١٣٩)، تأويل المشكل (١٣٠)، مجاز القرآن (١/ ٢٤٠)، الطبري (١٣/ ٣٦٦)، =

والنفل ما ينفله الغازي، أي: يعطاه زائداً على سهمه من المغنم، وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب: من قتل قتيلاً فله سلبه، أو قال لسرية: ما أصبتم فهو لكم، أو فلكم نصفه أو ربعه، ولا يخمس النفل، ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه، وعند الشافعي ـ رحمه الله ـ في أحد قوليه: لا يلزم، ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين في غنائم بدر، وفي قسمتها، فسألوا رسول الله ـ ﷺ ـ كيف تقسم، ولمن الحكم في قسمتها؟ أللمهاجرين أم للأنصار؟ أم لهم جميعاً؟ فقيل له: قل لهم: هي لرسول الله ـ ﷺ ـ (٦٢٣) وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء، ليس لأحد غيره فيها حكم، وقيل: شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله، فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين، فلما يسر الله لهم الفتح، اختلفوا فيما بينهم، وتنازعوا، فقال الشبان: نحن المقاتلون، وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات: كنا ردءاً لكم، وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم (٦٢٤)، وقال لرسول الله ـ ﷺ ـ: المغنم قليل، والناس كثير، وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك؛ فنزلت، وعن سعد بن أبي وقاص: قتل أخي عمير يوم بدر، فقتلت به سعيد بن العاص[1]، وأخذت سيفه فأعجبني/ ٢٦٨أ، فجئت به إلى رسول

---

٦٢٣ ـ أخرجه ابن حِبان في صحيحه (١١/ ١٩٣ ـ ١٩٤) رقم (٤٨٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٥)، وأحمد مختصراً (٥/ ٣١٨ و٣١٩ و٣٢٠ و٣٢٢ ـ ٣٢٣) والبيهقي (٦/ ٢٩٢)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٧٢) رقم (١٥٦٦٦ ـ ١٥٦٦٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٢).
قال الحافظ: أخرجه أحمد، وإسحاق، وابن حِبان، والحاكم من حديث أبي أُمامة عن عبادة بن الصامت. قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدنا معه بدرا. فالتقى الناس. فهزم الله العدو. فذكر الحديث في اختلافهم في قسمة الغنائم. قال: فنزلت: ويسألونك عن الأنفال ـ الآية. فقسمها النبي ﷺ بين المسلمين. انتهى.

٦٢٤ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٧٧): كتاب الجهاد: باب في النفل، حديث (٢٧٣٧ ـ ٢٧٣٨ ـ ٢٧٣٩)، والنَّسائي في التفسير (١/ ٥١٥) حديث (٢١٧)، وابن حِبان (١١/ ٤٩٠) رقم (٥٠٩٣)، والحاكم (٢/ ١٣١ ـ ١٣٢)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٧١ ـ ١٧٢) رقم (١٥٦٦٢ ـ ١٥٦٦٣ ـ ١٥٦٦٤ ـ ١٥٦٦٥)، والبيهقي (٦/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، وفي «دلائل النبوة»: (٣/ ١٣٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٣).
قال الحافظ: أخرجه أبو داود، والنَّسائي، وابن حِبان، والحاكم من رواية داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى مكان كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا. فتسارع إليه الشبان وثبت الشيوخ تحت الرايات ـ الحديث» قلت: وأما قوله: «حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين» فليس في هذا الحديث. انتهى.

= القرطبي (٧/ ٣٦١)، لسان العرب (نفل)، معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٦٤)، تاج العروس (نفل)، الدر المصون (٣/ ٣٩٢).

(١) (قوله فقتلت به سعيد بن العاص) في حواشي البيضاوي: أنه العاص بن سعيد (ع).

الله ـ ﷺ ـ فقلت: إنّ الله قد شفى صدري من المشركين، فهب لي هذا السيف، فقال: ليس هذا لي ولا لك، اطرحه في القبض[1] فطرحته وبي مالا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ من قتل أخي، وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله ـ ﷺ ـ وقد أنزلت سورة الأنفال، فقال: «يَا سَعْدُ، إِنَّكَ سَأَلْتَنِي السَّيْفَ وَلَيْسَ لِي، وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي فَاذْهَبْ فَخُذْهُ» (٦٢٥)، وعن عبادة بن الصامت: نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله لرسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ فقسمه بين المسلمين على السواء، وكان في ذلك تقوى الله، وطاعة رسوله، وإصلاح ذات البين (٦٢٦)، وقرأ ابن محيصن: «يسألونك علنفال»، بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام، وإدغام نون عن في اللام، وقرأ ابن مسعود: «يسألونك الأنفال»، أي: يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال.

فإن قلت: ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾؟

قلت: معناه أنّ حكمها مختص بالله ورسوله، يأمر الله بقسمتها، على ما تقتضيه حكمته، ويمتثل الرسول أمر الله فيها، وليس الأمر في قسمتها مفوّضاً إلى رأي أحد، والمراد: أنّ الذي اقتضته حكمة الله، وأمر به رسوله: أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات، فيقاسموهم على السوية، ولا يستأثروا بما شرط لهم؛ فإنهم إن فعلوا، لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في الاختلاف والتخاصم، وكونوا متحدين متآخين في الله، ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ

---

٦٢٥ ـ أخرجه أحمد (١/ ١٧٨ ـ ١٨١ ـ ١٨٥ ـ ١٨٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٢)، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٩١)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٧٢ ـ ١٧٣) رقم (١٥٦٦٨ ـ ١٥٦٦٩ ـ ١٥٦٧٠ ـ ١٥٦٧١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٢).
وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٩) رقم (٤٨٩) إلى الواحدي في أسباب النزول، وإلى الحازمي في كتابه الناسخ والمنسوخ، وإلى ابن مردويه في تفسيره.
قال الحافظ: أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، وأبو شيبة، وأبو عبيد في الأموال: وسعيد بن منصور؛ كلهم قال: حدثنا أبو معاوية عن الشيباني عن محمد بن عبيد بن أبي عون عنه قال أبو عبيد: كذا يقول: سعيد بن العاص. والصواب العاص بن سعيد. وفي روايتهم: فقلت سعيد بن العاص لم يقولوا به. انتهى.

٦٢٦ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ١٣٦)، وأحمد (٥/ ٣٢٢)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٧٢) رقم (١٥٦٦٧).
قال الحافظ: أخرجه أحمد، وإسحاق، والطبري من طريق ابن إسحاق عن عبد الرحمن عن الحارث عن سليمان بن مكحول عن أبي أُمامة عنه به. انتهى.

---

(١) قوله: «في القبض» القبض ـ كسبب ـ: المال المقبوض (ع).

﴿بَيْنِكُمْ﴾: وتآسوا، وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم، وعن عطاء: كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال: اقسموا غنائمكم بالعدل، فقالوا: قد أكلنا وأنفقنا، فقال: ليرذ بعضكم على بعض.

فإن قلت: ما حقيقة قوله: (ذات بينكم)؟

قلت: أحوال بينكم، يعني: ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق؛ كقوله: (بذات الصدور)، وهي مضمراتها، لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها: ذات البين؛ كقولهم: اسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب، وقد جعل التقوى، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله، من لوازم الإيمان وموجباته؛ ليعلمهم أنّ كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها، ومعنى قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن كنتم كاملي الإيمان، واللام في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: إشارة إليهم، أي: إنما الكاملو الإيمان من صفتهم كيت وكيت؛ والدليل عليه قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾. ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فزعت، وعن أمّ الدرداء: الوجل في القلب كاحتراق السعفة[1]، أما/ ٢٦٨ب تجد له قشعريرة؟ قال: بلى، قالت: فادع الله؛ فإنّ الدعاء يذهبه، يعني: فزعت لذكره؛ استعظاماً له، وتهيباً من جلاله، وعزّة سلطانه، وبطشه بالعصاة، وعقابه، وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه، وقيل: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له: اتق الله فينزع، وقرىء: «وجلت»، بالفتح، وهي لغة نحو: «وبق»، في: «وبق»[2]، وفي قراءة عبد الله: «فرقت»، ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾؛ ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة في نفس؛ لأن تظاهر الأدلة، أقوى للمدلول عليه، وأثبت لقدمه، وقد حمل على زيادة العمل، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «الإيمان سبع وسبعون شعبة، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (٦٢٧). وعن عمر بن عبد

---

٦٢٧ ـ أخرجه البخاري (١/ ٧٥): كتاب الإيمان: باب أمور الإيمان، حديث (٩)، ومسلم (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ النووي): كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسول الله ﷺ رسولاً فهو مؤمن، وإن ارتكب المعاصي الكبائر، حديث (٥٧ ـ ٥٨/ ٣٥)، وأبو داود (٤/ ٢١٩): كتاب السُّنّة: باب في رد الإرجاء، حديث (٤٦٧٦)، والتِّرمذي (٥/ ١٠): كتاب الإيمان: باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، حديث (٢٦١٤)، والنَّسائي (٨/ ١١٠): كتاب الإيمان وشرائعه، باب ذكر شُعَب الإيمان، وابن ماجه (١/ ٢٢). المقدمة: باب من =

---

(١) قوله: «كاحتراق السعفة» أي غصن النخلة، كما في الصحاح (ع).

(٢) قوله: «نحو وبق في وبق... إلخ» وبق: أي هلك. وفرقت: خافت (ع).

العزيز ـ رضي الله عنه ـ: «إن للإيمان سنناً، وفرائض، وشرائع، فمن استكملها، استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها، لم يستكمل الإيمان»، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: ولا يفوّضون أمورهم إلى غير ربهم، لا يخشون ولا يرجون إلا إياه، جمع بين أعمال القلوب من الخشية، والإخلاص، والتوكل، وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة، ﴿حَقًّا﴾: صفة للمصدر المحذوف، أي: أولئك هم المؤمنون إيماناً حقًّا؛ أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ كقولك: هو عبد الله حقًّا، أي: حق ذلك حقًّا، وعن الحسن أنّ رجلاً سأله: أمؤمن أنت؟ قال: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والجنة، والنار، والبعث، والحساب، فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فوالله، لا أدري أمنهم أنا أم لا، وعن الثوري: من زعم أنه مؤمن بالله حقًّا، ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة، فقد آمن بنصف الآية، وهذا إلزام منه، يعني: كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقًّا، فلا يقطع بأنه مؤمن حقًّا، وبهذا تعلق من يستثني في الإيمان، وكان أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ ممن لا يستثني فيه، وحكى عنه أنه قال لقتادة: لم تستثني في إيمانك؟ قال: اتباعاً لإبراهيم ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة ٢٦٠]، فقال له: هلا اقتديت به في قوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]؟ ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: شرف، وكرامة، وعلوّ منزلة، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: وتجاوز لسيئاتهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: نعيم الجنة، يعني: لهم منافع حسنة، دائمة على سبيل التعظيم، وهذا معنى الثواب.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾: فيه وجهان[1]، أحدهما: أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر

= الإيمان، حديث (٥٧)، وأحمد (٢/ ٤١٤)، وابن حِبان في صحيحه (١/ ٣٨٤) رقم (١٦٦).
قال الحافظ: أخرجه مسلم وأصحاب السنن، وابن حِبان برواية أبي صالح عن أبي هريرة. وهو في البخاري باختصار. انتهى.

---

(١) قال محمود: «في «كما» وجهان، أحدهما: أن يرتفع محل الكاف... إلخ» قال أحمد: وكان جدي أبو العباس أحمد الفقيه الوزير ـ رحمه الله ـ يذكر في معنى الآية وجهاً أوجه من هذين، وهو أن المراد تشبيه اختصاصه عليه السلام بالأنفال، وتفويض أمرها إلى حكمه من حيث الإثابة والجزاء، بإخراجه من بيته مطيعاً لله تعالى سامعاً لأمره راضياً بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك في الطاعة، فشبه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية، فكما بلغت طاعته الغاية في نوع الطاعات، فكذلك بلغت إثابة الله له الغاية في جنس المثوبات. وجماع هذا المعنى هو المشار إليه =

مبتدأ محذوف تقديره، هذه الحال كحال إخراجك، يعني: أنّ حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة، مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب/ ٢٦٩أ.

والثاني: أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدّر في قوله: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، أي: الأنفال استقرّت لله والرسول، وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون، و﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾: يريد بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها؛ لأنها مهاجره ومسكنه، فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: إخراجاً ملتبساً بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾: في موضع الحال، أي: أخرجك في حال كراهتهم؛ وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة[1]، معها أربعون راكباً، منهم: أبو سفيان، وعمرو بن العاص، وعمرو بن هشام، فأخبر جبريل رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبر المسلمين، فأعجبهم تلقي العير؛ لكثرة الخير، وقلة القوم، فلما خرجوا، بلغ أهل مكة خبر خروجهم، فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة، النجاه، النجاه على كل صعب وذلول، عيركم أموالكم، إن أصابها محمد، لن تفلحوا بعدها أبداً، وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا، فقالت لأخيها: إني رأيت عجباً، رأيت كأنّ ملكاً نزل من السماء، فأخذ صخرة من الجبل، ثم حلق بها، فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة، فحدّث بها العباس، فقال أبو جهل: ما يرضى رجالهم أن يتنبئوا حتى تتنبأ نساؤهم، فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير، في المثل السائر: لا في العير، ولا في النفير، فقيل له: إنّ العير أخذت طريق الساحل ونجت، فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا والله، لا يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور، ونشرب الخمور، ونقيم القينات، والمعازف ببدر، فيتسامع جميع العرب بمخرجنا، وإن محمداً لم يصب العير، وإنا قد أعضضناه[2]، فمضى بهم إلى بدر ـ وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة ـ فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: يا محمد، إن الله وعدكم إحدى الطائفتين: إمّا العير، وإمّا قريشاً، فاستشار النبي

= بقوله عليه الصلاة والسلام «الأجر على قدر النصب» ولك على هذا المعنى أن تجعل الكاف مرفوعة ومنصوبة على حسب التقدير، والله الموفق.

(١) هذه القصة منتزعة من سيرة ابن هشام إلا قوله: «إن في أهل العير عمرو بن هشام فإن عمرو بن هشام هو أبو جهل ولم يكن في العير، وإنما كان في النفير وأخرجه الطبري من قول ابن إسحاق، وبعضه عن ابن عباس وعن عروة وعن السدي بتقديم وتأخير وزيادة ونقص وفي مغازي الواقدي عن محمود بن لبيد بعضه. وعن سعيد بن المسيب بعضه.

(٢) قوله: «وإنا قد أعضضناه» في الصحاح: أعضضته الشيء فعضه. وفي الحديث «فأعضوه بهن أبيه» ويقال: أعضضته سيفي، أي ضربته به. وأعض القوم. أكلت إبلهم العض، وهو بالضم علف الأمصار، وبالكسر الشوك الصغير (ع).

ـ ﷺ ـ أصحابه، وقال: ما تقولون، إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول، فالعير أحب إليكم أم النفير؟ قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدوّ، فتغير وجه رسول الله ـ ﷺ ـ: ثم ردّد عليهم، فقال: «إِنَّ العِيرَ قَدْ مَضَتْ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ، وَهٰذَا أَبُو جَهْلٍ قَدْ أَقْبَلَ»، فقالوا: يا رسول الله، عليك بالعير، ودع العدوّ، فقام عند غضب النبي ـ ﷺ ـ أبو بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فأحسنا، ثم قام سعد بن عبادة، فقال: انظر أمرك فامض، فوالله، لو سرت إلى عدن أبين[1]، ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال المقداد بن عمرو: يا رسول الله، امض لما أمرك الله؛/ ٢٦٩ب فإنا معك حيثما أحببت، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، ما دامت عين منا تطرف، فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قال: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّها النَّاسُ» وَهُوَ يُرِيدُ الأَنْصَارَ ـ لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا، فكان النبي ـ ﷺ ـ يتخوّف ألاّ تكون الأنصار لا ترى[2] عليهم نصرته إلا على عدوّ دهمه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ، فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أَجَلْ»، قال: قد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته، لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله، ففرح رسول الله ـ ﷺ ـ وبسطه قول سعد، ثم قال: «سِيرُوا عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ اللهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ، لَكَأَنِّي الآنَ أَنْظُرُ إِلَىٰ مَصَارِعِ القَوْمِ» (٦٢٨)، وروي أنه قيل لرسول الله ـ ﷺ ـ حين فرغ من بدر: عليك بالعير، ليس دونها شيء، فناداه العباس، وهو في وثاقه: لا يصلح، فقال له النبي ـ ﷺ ـ «لِمَ»؟ قال: لأنّ الله وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك (٦٢٩)، وكانت الكراهة من بعضهم

---

٦٢٨ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) رقم (٧٢٨)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٨٤ ـ ١٨٥) رقم (١٥٧٣٢ ـ ١٥٧٣٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).

٦٢٩ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٦٩): كتاب تفسير القرآن: باب: ومن سورة الأنفال، حديث (٣٠٨٠)، =

---

(١) قوله: «إلى عدن أبين» في الصحاح: أبين اسم رجل نسب إليه عدن، فقيل: عدن أبين (ع).

(٢) قوله: «يتخوف أن لا تكون الأنصار لاترى» لعله «أن تكون» أو لعله «الأنصار ترى» وبالجملة فأحد الحرفين يغني عن الآخر (ع).

لقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾

والحق الذي جادلوا فيه رسول الله ـ ﷺ ـ: تلقي النفير؛ لإيثارهم عليه تلقي العير، ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾: بعد إعلام رسول الله ـ ﷺ ـ بأنهم ينصرون؛ وجدالهم: قولهم ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب؟ وذلك لكراهتهم القتال، ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم، وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة، بحال من يعتل إلى القتل[1]، ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن، وهو مشاهد لأسبابه، ناظر إليها لا يشك فيها، وقيل: كان خوفهم، لقلة العدد، وأنهم كانوا رجالة، وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿إذ﴾: منصوب بإضمار اذكر؛ و﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾: بدل من إحدى الطائفتين، والطائفتان: العير، والنفير، ﴿غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾: العير؛ لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً، والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدّتهم، والشوكة: الحدّة، مستعارة/ ٢٧٠أ من واحدة الشوك، ويقال: شوك القنا لشباها[2]، ومنها قولهم: شائك السلاح، أي: تتمنون أن تكون لكم العير، لأنها الطائفة التي لا حدّة لها ولا شدّة، ولا تريدون الطائفة الأخرى، ﴿أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: أن يثبته ويعليه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة، وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة، وبما قضى من أسرهم، وقتلهم، وطرحهم في قليب بدر، والدابر الآخر: فاعل من دبر، إذا أدبر، ومنه: دابرة الطائر، وقطع الدابر: عبارة عن الاستئصال، يعني: أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور[3]، وألاّ تلقوا ما يرزؤكم

= وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٥٥).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠٨).

قال الحافظ: أخرجه التِّرمذي وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والبزار وابن حِبان والحاكم من رواية إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ انتهى.

---

(١) قوله: «بحال من يعتل إلى القتل» أي يجذب جذباً عنيفاً. أفاده الصحاح.

(٢) قوله: «شوك القنا لشباها» شباه كل شيء: حد طرفه، والجمع شبا وشبوات، كذا في الصحاح. فشباها جمع مضاف لضمير القنا (ع).

(٣) قال محمود: «يعني أنكم تريدون العاجلة وسفاسف الأمور... إلخ» قال أحمد: والتحقيق في التمييز بين الكلامين أن الأول ذكر الإرادة فيه مطلقة غير مقيدة بالواقعة الخاصة، كأنه قيل: وتودون =

في أبدانكم وأحوالكم[1]، والله ـ عزّ وجلّ ـ يريد معالي الأمور، وما يرجع إلى عمارة الدين، ونصرة الحق، وعلوّ الكلمة، والفوز في الدارين، وشتان ما بين المرادين؛ ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة، وكسر قوّتهم بضعفكم، وغلب كثرتهم بقلتكم، وأعزّكم وأذلهم، وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها، وقرىء: «بكلمته»، على التوحيد.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

فإن قلت: بم يتعلق قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾؟

قلت: بمحذوف تقديره: ليحق الحق، ويبطل الباطل فعل ذلك، ما فعله إلا لهما، وهو إثبات الإسلام وإظهاره، وإبطال الكفر ومحقه.

فإن قلت: أليس هذا تكريراً؟

قلت: لا؛ لأنّ المعنيين متباينان؛ وذلك أنّ الأوّل تمييز بين الإرادتين، وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم، ونصرتهم عليها، وأنه ما نصرهم، ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض، ويجب أن يقدّر المحذوف متأخراً؛ حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى، وقيل: قد تعلق بيقطع.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾

فإن قلت: بم يتعلق: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾؟

قلت: هو بدل من: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾، وقيل: بقوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ [الأنفال: ٨]، واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بدّ من القتال، طفقوا يدعون الله ويقولون: أي ربنا، انصرنا على عدوّك، يا غياث المستغيثين، أغثنا، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ نظر إلى المشركين وهم ألف، وإلى أصحابه وهم ثلثمائة، فاستقبل القبلة، ومدّ يديه يدعو: «اللَّهُمَّ، أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هٰذِهِ العِصَابَةُ، لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» ـ فما زال كذلك حتى سقط رداؤه، فأخذه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فألقاه على منكبه، والتزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما

= أن غير ذات الشوكة تكون لكم، ومن شأن الله تعالى إرادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الإطلاق، ولإرادته أن يحق الحق ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة، فبين الكلامين عموم وخصوص، وإطلاق وتقييد. وفي ذلك ما لا يخفى من المبالغة في تأكيد المعنى بذكره على وجهين: إطلاق، وتقييد. والله أعلم.

(١) قوله: «وأحوالكم» لعله وأموالكم (ع).

وعدك (٦٣٠) ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾: أصله: بأني ممدكم، فحذف الجار، وسلط عليه استجاب فنصب محله، وعن أبي عمرو أنه قرأ: (إني ممدكم): بالكسر، على إرادة القول، أو على إجراء استجاب مجرى، (قال)؛ لأنّ الاستجابة من القول.

فإن قلت: هل قاتلت الملائكة يوم بدر؟

قلت: اختلف فيه، فقيل: نزل جبريل في/ ٢٧٠ب يوم بدر في خمسمائة ملك على الميمنة، وفيها أبو بكر، وميكائيل في خمسمائة على الميسرة، وفيها عليّ بن أبي طالب في صور الرجال، عليهم ثياب بيض، وعمائم بيض، وقد أرخوا أذنابها بين أكتافهم، فقاتلت، وقيل: قاتلت يوم بدر، ولم تقاتل يوم الأحزاب، ويوم حنين، وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود: من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع، ولا نرى شخصاً؟ قال: من الملائكة، فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم، وروي أنّ رجلاً من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين، إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه، فنظر إلى المشرك قد خرَّ مستلقياً وشقّ وجهه، فحدث الأنصاري رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «صَدَقْتَ، ذَاكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ» (٦٣١) وعن أبي داود المازني: تبعت رجلاً من المشركين لأضربه يوم بدر، فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي (٦٣٢) وقيل: لم يقاتلوا؛ وإنما كانوا يكثرون السواد، ويثبتون المؤمنين، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم، فإنّ جبريل ـ عليه السلام ـ أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط، وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة، وقرىء: (مردَفين): بكسر الدال وفتحها، من قولك: ردفه إذا تبعه، ومنه قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢]، بمعنى: ردفكم، وأردفته إياه: إذا أتبعته، ويقال: أردفته؛ كقولك: أتبعته، إذا جئت بعده، فلا يخلو المكسور الدال من أن

---

٦٣٠ ـ أخرجه مسلم (٦/ ٣٢٧): كتاب الجهاد والسّير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث (٥٨/ ١٧٦٣)، والتّرمذي (٥/ ٢٦٩): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنفال، حديث (٣٠٨١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٨٨) رقم (١٥٧٤٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠٨).

قال الحافظ:

أخرجه مسلم من رواية ابن عباس عن عمر ـ رضي الله عنه. انتهى.

٦٣١ ـ ينظر الحديث السابق.

قال الحافظ: هذا طرف من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الذي قبله. انتهى.

٦٣٢ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ٢٩٧). رقم (٧٦١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٥٦).

قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في المغازي: حدثني أبي عن رجال من بني مازن عن أبي داود المازني ـ فذكره؛ ومن طريقه أخرجه إسحاق والطبري وغيرهما. انتهى.

يكون بمعنى متبعين، أو متبعين، فإن كان بمعنى: متبعين[1]، فلا يخلو من أن يكون بمعنى: متبعين بعضهم بعضاً، أو متبعين بعضهم لبعض، أو بمعنى: متبعين إياهم المؤمنين، أي: يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم، أو متبعين لهم يشيعونهم، ويقدمونهم بين أيديهم، وهم على ساقتهم؛ ليكونوا على أعينهم وحفظهم، أو بمعنى: متبعين أنفسهم ملائكة آخرين، أو متبعين غيرهم من الملائكة؛ ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، ومن قرأ: (مردفين): بالفتح، فهو بمعنى: متبعين أو متبعين، وقرىء: «مرِدفين»، بكسر الراء، وضمها وتشديد الدال، وأصله «مرتدفين»، أي: مترادفين أو متبعين، من ارتدفه، فأدغمت تاء الافتعال في الدال، فالتقى ساكنان، فحرّكت الراء بالكسر على الأصل، أو على إتباع الدال، وبالضم على إتباع الميم، وعن السدي: «بآلاف من الملائكة»، على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران.

فإن قلت: فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد، ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين، والمرادفين بارتدافهم غيرهم؟

قلت: بأنّ المراد بالألف من قاتل منهم، أو الوجوه منهم الذين من سواهم/ ٢٧١أ أتباع لهم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في: ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾؟

قلت: إلى قوله: ﴿أَنِّى مُمِدُّكُمْ﴾؛ لأن المعنى: فاستجاب لكم بإمدادكم.

فإن قلت: ففيمن قرأ بالكسر؟

قلت: إلى قوله: ﴿أَنِّى مُمِدُّكُمْ﴾؛ لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول، ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه ممدّكم، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: إلا بشارة لكم بالنصر، كالسكينة لبني إسرائيل، يعني: أنكم استغثتم، وتضرعتم لقلتكم وذلتكم، فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر، وتسكيناً منكم، وربطاً على قلوبكم، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يريد: ولا تحسبوا النصر من الملائكة؛ فإن الناصر: هو الله، لكم وللملائكة، أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور من نصره الله.

---

(١) قوله: «فإن كان بمعنى متبعين» يقرأ هذا بالتسكين، ولم يذكر مقابله وهو ما كان بمعنى متبعين بالتشديد (ع).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾: بدل ثان من (اذ يعدكم)، أو منصوب بالنصر، أو بما في: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، من معنى الفعل، أو بما جعله الله، أو بإضمار اذكر، وقرىء: «يغشيكم» بالتخفيف والتشديد[1]، ونصب «النعاسَ»، والضمير لله ـ عزّ وجلّ ـ و﴿أَمَنَةً﴾: مفعول له.

فإن قلت: أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحداً؟

قلت: بلى، ولكن لما كان معنى «يغشاكم النعاس»، تنعسون، انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم، والمعنى: إذ تنعسون أمنة بمعنى أمناً، أي: لأمنكم، و﴿مِّنْهُ﴾: صفة لها، أي: أمنة حاصلة لكم من الله، عزّ وجلّ.

فإن قلت: فعلى غير هذه القراءة[2]؟

قلت: يجوز أن تكون الأمنة بمعنى: الإيمان، أي: ينعسكم إيماناً منه، أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمناً.

فإن قلت: هل يجوز أن ينتصب على أنّ الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم؟

أي: يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازى، وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة، أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ألاّ يقدم على غشيانكم، وإنما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل؟

---

(١) قال محمود: «وقرئ (إذ يغشيكم) بالتخفيف والتشديد... إلخ» قال أحمد: ومثل هذا النظر يجري عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ لأن فاعل الإراءة هو الله عز وجل، وفاعل الخوف والطمع هم، وقد انتصبا مفعولاً لهما فالجواب: أنه لما كان الله تعالى إذا أراهم البرق رأوه، كانوا فاعلين في المعنى وكان المعنى وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفاً وطمعاً، فهذا مثل آية الأنفال، فإن المفعول في المعنى فاعل. وسيأتي مزيد بحث في هذه النكتة. وقد جرى القلم بتعجيلها ههنا، وذلك أن لقائل أن يقول: فاعل يغشى النعاس إياهم هو الله تعالى، وهو فاعل الأمنة أيضاً وخالقها وحينئذ يتحد فاعل الفعل والعلة يرتفع السؤال ويزول الإشكال على قواعد السنة التي تقتضي نسبة أفعال الخلق إلى الله تعالى على أنه خالقها ومبدعها، ولمورد السؤال أن يقول المعتبر أن يكون فاعل الفعل متصفاً بالعلة كما هو متصف بالفعل، والباري عز وجل. إن كان خالق الأمنة للعبد وكان بها آمناً فالعبد هو الفاعل اللغوي وإن كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة وعقيدة، وحينئذ يفتقر السؤال إلى الجواب السالف والله الموفق.

(٢) عاد كلامه: قال: «فإن قلت فعلى غير هذه القراءة قلت كذلك... إلخ» قال أحمد: وجه حسن بشرط الأدب في إسقاط لفظة التخييل، وقد تقدمت له أمثالها.

قلت: لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله، وله فيه نظائر، وقد ألم به مَنْ قال [من الوافر]:

يَـهَـابُ الـنَّـوْمُ أَنْ يَـغْـشَـىٰ عُـيُـونـاً تَـهَـابُـكَ فَـهْـوَ نَـفَّـارٌ شَـرُودُ[1]

وقرىء: (أمْنة): بسكون الميم، ونظير: «أمن أمنة» «حيي حياة»، ونحو: «أمن أمنة»، «رحم رحمة»، والمعنى: أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم، فلما طامن الله قلوبهم، وأمنهم، رقدوا، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: النعاس في القتال: أمنة من الله، وفي الصلاة: وسوسة من الشيطان (٦٣٣)، ﴿وَيُنَزِّلُ﴾: قرىء بالتخفيف والتثقيل، وقرأ الشعبي: «ما ليطهركم به»: قال ابن جنى: «ما» موصولة وصلتها حرف الجر بما جره؛ فكأنه قال: ما للطهور، و﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: وسوسته إليهم، وتخويفه/ ٢٧١ب إياهم من العطش، وقيل: الجنابة؛ لأنها من تخييله، وقرىء: «رجس الشيطان»؛ وذلك أن إبليس تمثل لهم، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء؛ ونزل المسلمون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء، وناموا فاحتلم أكثرهم، فقال لهم: أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق، وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة، وقد عطشتم، ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش، فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا، وساقوا بقيتكم إلى مكة، فحزنوا حزناً شديداً وأشفقوا؛ فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ المطر؛ فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي، واتخذ رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه الحياض على عدوة الوادي، وسقوا الركاب، واغتسلوا

---

٦٣٣ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٤٩٩) رقم (٤٢١٩)، وفي تفسيره (٢/ ٢٥٦)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٩٢) رقم (١٥٧٧١)، والطبراني في معجمه (٩/ ٣٣٣) رقم (٩٤٥١ ـ ٩٤٥٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ١٥) رقم (٤٩٧) إلى ابن أبي شيبة في مصنفه في أول الجهاد وإلى الثعلبي في تفسيره، عن ابن مسعود وليس عن عبد الله بن عباس؛ كما وَهِمَ الزمخشري.
قال الحافظ: لم أجده عن ابن عباس. والظاهر أنه تحرف، وإنما هو ابن مسعود؛ كذا ذكره الثعلبي. وأخرجه عبد الرزاق والطبري. وكذا ابن أبي شيبة والطبراني كلهم من حديث ابن مسعود موقوفاً. انتهى.

---

(١) للزمخشري، يقول: يخاف النوم أن يغزو عيوناً تخافك فالنوم كثير النفار والشرود، شبهه بحيوان أن يصح منه الخوف على طريق المكنية. وقوله فهو نفار شرود: تفريع للترشيح. ونسبة الخوف للعيون مجاز عقلي.
ينظر: الألوسي ٩/ ١٧٦، حاشية الشهاب ٤/ ٢٥٨، الإنصاف ٢/ ١٥٩، البحر المحيط ٤/ ٤٦٢، الدر المصون ٣/ ٤٠٢.

وتوضؤوا، وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام، وزالت وسوسة الشيطان، وطابت النفوس (٦٣٤)، والضمير في (به): للماء، ويجوز أن يكون للربط؛ لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة، ثبتت القدم في مواطن القتال.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِذْ يُوحِى﴾: يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾، وأن ينتصب بيثبت، ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾: مفعول يوحي، وقرىء: «إني»، بالكسر على إرادة القول، أو على إجراء يوحي مجرى يقول؛ كقوله: ﴿أَنِّى مُمِدُّكُم﴾، والمعنى: أني معينكم على التثبيت فثبتوهم، وقوله: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟﴾: يجوز أن يكون تفسيراً لقوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟﴾، ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة، ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم، واجتماعهما غاية النصرة، ويجوز أن يكون غير تفسير، وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم، وتصحّ عزائمهم، ونياتهم في القتال، وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدّون بالملائكة، وقيل: كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول: إني سمعت المشركين يقولون: والله، لئن حملوا علينا لننكشفنّ، ويمشي بين الصفين فيقول: أبشروا؛ فإن الله ناصركم؛ لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه، وقرىء: ﴿الرعب﴾: بالتثقيل، ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾: أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح؛ لأنها مفاصل، فكان إيقاع الضرب فيها حزا وتطييراً للرؤس، وقيل: أراد الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق، يعني: ضرب الهام، قال [من الوافر]:

..... وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْبَطَلِ الْمُشِيحِ[1]

[ومن البسيط]:

غَشَّيْتُهُ وَهْوَ فِي جَأْوَاءَ بَاسِلَةٍ عَضْباً أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَانْفَلَقَا[2]

---

٦٣٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٩٤) رقم (١٥٧٨٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١١). وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ١٥ ـ ١٦) إلى البيهقي، وأبي نعيم في كتابيهما «دلائل النبوة»، وإلى الثعلبي وابن مردويه في تفسيريهما.

---

(١) عجز بيت لعمرو بن الإطنابة وصدره:

وإحامي على المكروه نفسي ....

ينظر: الشذور (٣٤٥)، معجم الشعراء (٨) والعمدة لابن رشيق ١/ ٢٩ واللسان (شيح) والدر المصون ٣/ ٤٠٤.

(٢) وفارس في غمار الموت منغمس إذا تألى على مكروهة صدقا =

والبنان: الأصابع، يريد الأطراف، والمعنى: فاضربوا المقاتل والشوي؛ لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل، فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معاً، ويجوز أن يكون قوله: (سألقي)، إلى قوله: (كل بنان)، عقيب/ ٢٧٢أ قوله: ﴿فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ تلقيناً للملائكة ما يثبتونهم به، كأنه قال: قولوا لهم قولي: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾، أو كأنهم قالوا: كيف نثبتهم؟ فقيل: قولوا لهم قولي: (سألقي)، فالضاربون على هذا هم المؤمنون.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل، ومحله الرفع على الإبتداء و﴿بِأَنَّهُمْ﴾: خبره، أي: ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم، والمشاقة: مشتقة من الشق؛ لأن كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه، وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة، فقلت: لأن هذا في عدوة وذاك في عدوة، كما قيل: المخاصمة والمشاقة؛ لأن هذا في خصم، أي: في جانب، وذاك في خصم، وهذا في شق، وذاك في شق، والكاف في (ذلك)؛ لخطاب الرسول ـ عليه السلام ـ أو لخطاب كل واحد، وفي ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ للكفرة، على طريقة الالتفات، ومحل (ذلكم): الرفع على ذلكم العقاب، أو العقاب ذلكم، ﴿فَذُوقُوهُ﴾: ويجوز أن يكون نصباً على: عليكم ذلكم فذوقوه؛ كقولك: زيداً فاضربه، ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: عطف على ذلكم في وجهيه، أو نصب على أن الواو بمعنى: مع، والمعنى: ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في

= غشيته وهو في جأواء باسلة عضبًا أصاب سواء الرأس فانفلقا

لبلعا بن قيس الكناني والغمر الماء الكثير فشبه الموت بسيل عظيم على سبيل الكناية. والغمار والانغماس فيه تخييل. ويجوز أن تستعار الغمار لأهوال الموت على طريق التصريحية. ويحتمل أن تستعار لجيش ذلك الفارس على طريق التصريحية أيضاً. وأضافه للموت لأنه ينشأ عنها والانغماس ترشيح. «إذا تألى» أي حلف «على مكروهة» أي حرب «صدق» أي بر في يمينه «غشيته» ألحقت به والحال أنه «في جأواء» أي كتيبة عظيمة اسودت أو اخضرت بكثرة السلاح والدروع، من الجوة مثل الحوة، أو من الجؤوة مثل الحمرة، وهي هي بشرط أن يرهقها سواد. وقيل السواد يرهقه خضرة لصدأ دروعها «باسلة» أي مانعة عابسة. ويجوز أن الجأواء الدرع الصدئة. وعضبا: مفعول غشيته، أي سيفاً قاطعاً «أصاب» أي طلب ونال «سواء» أي وسط الرأس «فانفلق» الرأس أو وسطه، مدح قرنه مع ظفره به، ليدل على بلوغه غاية الشجاعة.

ينظر الخزانة ٦/٥٥٦، والبحر المحيط ٤/٤٦٤، وابن يعيش ١/٨، وشرح الحماسة ١/٦٠، والدر المصون ٣/٤٠٤.

الآخرة، فوضع الظاهر موضع الضمير، وقرأ الحسن: «وإن للكافرين» بالكسر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿زَحْفًا﴾: حال من الذين كفروا، والزحف: الجيش الدهم[1]، الذي يرى لكثرته كأنه يزحف، أي: يدب دبيباً، من زحف الصبي إذا دب على إسته قليلاً قليلاً، سمي بالمصدر والجمع زحوف، والمعنى: إذا لقيتموهم للقتال، وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفرّوا، فضلاً أن تدانوهم في العدد أو تساووهم، أو حال من الفريقين، أي: إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم، أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين، حين تولوا مدبرين، وهم زحف من الزحوف اثني عشر ألفاً، وتقدمة[2] نهى لهم عن الفرار يومئذ، وفي قوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾: أمارة عليه، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾: هو الكرّ بعد الفرّ، يخيل عدوّه أنه منهزم ثم يعطف عليه، وهو باب من خدع الحرب ومكايدها، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾: أو منحازاً، ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: خرجت سرية وأنا فيهم ففرّوا، فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت، فقلت: يا رسول الله، نحن الفرّارون، فقال: «بَلْ أَنْتُمُ العَكَّارُونَ[3] وَأَنَا فِئَتُكُمْ» (٦٣٥) وانهزم رجل من القادسية، فأتى المدينة إلى عمر ـ رضي

---

٦٣٥ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٤٦): كتاب الجهاد: باب في التولي يوم الزحف (٢٦٤٧)، والتِّرمذي (٥/ ٢١٥): كتاب الجهاد: باب ما جاء في الفرار من الزحف، حديث (١٧١٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٢)، وأحمد (٢/ ٧٠ ـ ٨٦ ـ ١٠٠ ـ ١١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٧٦ ـ ٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٥٧) والحميدي في مسنده (٢/ ٣٠٢) حديث (٦٨٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٥)، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في الأدب المفرد وأبي داود والتِّرمذي وحسنه، وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر.
قال الحافظ: أخرجه أبو داود، والتِّرمذي، والبخاري في الأدب المفرد من رواية يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر ـ رضي الله عنهما. وكذا أخرجه أحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، وأبو يَعلى، والبزار في مسانيدهم. قال التِّرمذي: لا نعرفه إلا من رواية يزيد بن أبي زياد. انتهى.

---

(١) قوله: «الجيش الدهم» هو العدد الكثير، والدهمة: السواد، كذا في الصحاح (ع).
(٢) قوله و«تقدمة نهى لهم» لعله عطف على المعنى، أي: إشعاراً وتقدمة نهي (ع).
(٣) قوله: «بل أنتم العكارون» من عكر إذا عطف وكر. أفاده الصحاح.

الله عنه ـ فقال: يا أمير المؤمنين، هلكت، فررت من الزحف، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنا فئتك (٦٣٦)؛ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: إنّ الفرار من الزحف من أكبر الكبائر:

فإن قلت: بم انتصب: (إلا متحرفا)؟

قلت: على الحال، وإلا لغو، أو على الاستثناء من المولين، أي: ومن يولهم إلا رجلاً منهم متحرّفاً أو متحيزاً[1]، وقرأ الحسن: (دبْره): بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل؛ لأنه من حاز يحوز، فبناء متفعل منه متحوّز/ ٢٧٢ب.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

لما كسروا أهل مكة، وقتلوا، وأسروا، أقبلوا على التفاخر، فكان القائل يقول: قتلت وأسرت، ولما طلعت قريش قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «هٰذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ[2] بِخُيَلَائِهَا

---

٦٣٦ ـ أخرجه ابن أبي شيبة من طريق منصور عن إبراهيم قال: فر رجل... فذكره.
كما قال الحافظ في «تخريج الكشاف» انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «لا يريد بقوله: «و «إلاّ» «لَغْو» أنها زائدة، بل يريد أن العامل وهو «يُوَلِّهِمْ» وَصَلَ لما بعدها، كقولهم ـ في «لا» من نحو: «جئتُ بلا زادٍ» ـ: إنها لَغْوٌ. وفي الحقيقة هي استثناء من حال محذوفة، والتقدير: ومن يُوَلِّهِمْ ملتبساً بأية حالة إلاّ في حال كذا، وإن لم تُقَدَّر حال عامة محذوفة لم يصح دخول «إلاّ»؛ لأن الشرط عندهم واجب، والواجب حكمه ألا تدخل «إلاّ» فيه، لا في المفعول، ولا في غيره من الفضلات، لأنه استثناء مفرغ، والمفرغ لا يكون في الواجب، إنما يكون مع النفي، أو النهي، أو المؤول بهما، فإن جاء ما ظاهره خلاف ذلك يؤول». قلت: قوله: «لا في المفعول، ولا في غيره من الفضلات لا حاجة إليه، لأن الاستثناء المفرغ لا يدخل في الإيجاب مطلقاً، سواء كان ما بعد «إلاّ» فضلةً أم عمدة، فذكر الفضلة والمفعول يوهم جوازه في غيرهما». وقال ابن عطية: «وأما الاستثناء فهو من المُوَلِّين الذين تتضمنهم «مَنْ». فجعل نصبه على الاستثناء». وقال جماعة. «إن الاستثناء من أنواع التولي». وقد رُدَّ هذا بأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون التركيب: إلا تحيزاً أو تحرفاً. والتَّحَيُّزُ والتَحَوُّز الانضمام، وتَحَوَّزَتِ الحَيَّةُ: انطَوَتْ. وحُزْتُ الشيء: ضممته. والحَوْزَةُ: ما يضم الأشياء. ووزن «مُتَحَيِّز»: «مُتَفَيْعِل»، والأصل مُتَحَيْوِز، فاجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء بعدها، كـ «مَيِّت»، ولا يجوز أن يكون «مُتَفَعْلاً»، لأنه لو كان كذا لكان «متحوِّزاً». فأما مُتَحَوِّز فـ «مُتَفَعِّل». انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «ولما جاءت قريش قال عليه الصلاة والسلام: هذه قريش جاءت... إلخ» قال أحمد رحمه الله: أوضح مصداق في التمييز بين الحقيقة والمجاز. ألا تراك تقول للبليد: ليس بحمار، ويصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجوز إنه حمار، فإذا ثبت لك أن من مميزات المجاز =

وَفَخْرِهَا يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي»، فَأَتَاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فقال ـ لما التقى الجمعان ـ لعلي ـ رضي الله عنه ـ: «أَعْطِنِي قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءِ الوَادِي، فَرَمَىٰ بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ وَقال: شَاهَت الوُجُوهُ»، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه، فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسروهم (٦٣٧)، فقيل لهم: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾، والفاء: جواب شرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم[1]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾؛ لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم،

---

٦٣٧ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) رقم (٧٣٤ و٧٣٧)، والبيهقي (٣/ ١١٠) في دلائل النبوة، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٠٣) رقم (١٥٨٣٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٧)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ١٩) رقم (٥٠٠) إلى الواقدي في المغازي، وإلى ابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ:

قال الطيبي لم يذكر أحد من أئمة الحديث أن هذه الرمية كانت ببدر، ثم حديث سلمة بن الأكوع. قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حُنينا فذكر القصة، وهو تعقيب غير مُرض، فقد روى الواقدي في المغازي عن ابن أبي الزهري عن الزهري عن عروة بن الزبير قال: «لما رأى رسول الله ﷺ قريشاً فذكر نحوه إلى قوله: ما وعدتني» وروى الطبري من وجه آخر عن هشام بن عروة عن عروة قال: «لما ورد رسول الله ﷺ بدراً قال: فزعموا أنه قال: هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك، اللهم إني أسألك ما وعدتني. فلما أقبلوا استقتلوا فحثا في وجوههم فهزمهم الله تعالى»، وروى الطبري من رواية علي بن أبي طلحة قال: «رفع رسول الله ﷺ يده يوم بدر»، فقال:

يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً. فأمره جبريل فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم. فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه تراب. فولوا مدبرين»، وعنده أيضاً من طريق أسباط عن السدي: «أن رسول الله ﷺ قال لعلي يوم بدر: أعطني حصباء من الأرض. فناوله حصا عليه تراب، فرمى به في وجوه القوم، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه من ذلك التراب، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم. وأنزل الله: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ـ الآية﴾. وروى الواقدي في المغازي أيضاً من طريق حكيم بن حزام في قصة بدر قال: قام رسول الله ﷺ، فأخذ كفا من الحصباء فرماهم بها، وقال: شاهت الوجوه. فما بقي منهم أحد إلا امتلأ وجهه وعيناه فانهزم أعداء الله، والمسلمون يقتلون ويأسرون. وأخرجه الطبري من وجه آخر عن حكيم بن حزام نحوه دون ما في آخره. انتهى.

= صدق سلبه بخلاف الحقيقة، فافهم أن هذه الآية تكفح وجوه القدرية بالرد، وذلك أن الله تعالى أثبت الفعل للخلق ونفاه عنهم، ولا محمل لذلك إلا أن ثبوته لهم مجاز، والفاعل والخالق حقيقة هو الله تعالى، فأثبته لهم مجازاً، ونفاه عنهم حقيقة. وإياك أن تعرج على تنكيس الزمخشري في تأويل الآية، فإنه نظر أعوج، وباطل مخلج، والحق أبلج، والله الموفق بكرمه.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وليست جواباً، بل لربط الكلام بعضه ببعض». انتهى. الدر المصون.

وشاء النصر والظفر، وقوّى قلوبكم، وأذهب عنها الفزع والجزع، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: أنت يا محمد، ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ يعني: أنّ الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة؛ لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله؛ حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، فأثبت الرمية لرسول الله ـ ﷺ ـ لأنّ صورتها وجدت منه، ونفاها عنه؛ لأنّ أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله ـ عزّ وجلّ ـ فكأنّ الله هو فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنها لم توجد من الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصلاً، وقرىء: «ولكن الله قتلهم، ولكن الله رمى»، بتخفيف «لكن»، ورفع ما بعده، ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: وليعطيهم، ﴿بَلَآءً حَسَنًا﴾: عطاء جميلاً؛ قال زهير [من الطويل]:

. . . . . فَأَبْلاَهُمَا خَيْرَ الْبَلاَءِ الَّذِي يَبْلُو[1]

والمعنى: وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل، وما فعله إلا لذلك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوالهم.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: إشارة إلى البلاء الحسن، ومحله الرفع، أي: الغرض ذلكم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾: معطوف على ذلكم، يعني: أن الغرض إبلاء المؤمنين، وتوهين كيد الكافرين، وقرىء: «مُوهِّن»، بالتشديد، وقرىء على الإضافة، وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ ۖ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾: خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم؛ وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهمّ، انصر أقرانا للضيف، وأوصلنا للرحم، وأفكنا للعاني، إن كان محمد على حق فانصره، وإن كنا على حق

---

(١) جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

يقول: كافأ الله بإحسانه إليهما ما فعلاه بكم من الإحسان. وأبلى: مضمن معنى أعطى. يقال: بلاه الله وأبلاه وابتلاه، بمعنى اختبره. والاسم: البلاء. ويجيء بمعنى النقمة وبمعنى النعمة كما هنا. وأعطاهما خير نعمته التي يبلوها الناس ويختبرهم بإعطائها.

ينظر ديوانه (١٠٩)، معاني القرآن للزجاج (١/ ١٠٢)، الطبري (٢/ ٤٩)، لسان العرب (بلا)، تهذيب اللغة (١٥/ ٣٩٠)، مقاييس اللغة (١٤/ ٣٢٢)، المخصص (٣/ ١٠٢، ١٣/ ٢٨٢)، مجمل اللغة (١/ ١٦٣)، الدر المصون (١/ ٢٢٠).

فانصرنا، وروي أنهم قالوا: اللهمّ، انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين، وروي أنّ أبا جهل قال يوم بدر: اللهمّ أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم، أي: فأهلكه، وقيل: (إن تستفتحوا): خطاب للمؤمنين، ﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾: خطاب للكافرين، يعني: وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله ـ ﷺ ـ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: وأسلم، ﴿وَإِن تَعُودُوا﴾: لمحاربته، ﴿نَعُدْ﴾: لنصرته عليكم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: قرىء بالفتح على: ولأنّ الله معين المؤمنين كان ذلك/ ٢٧٣أ، وقرىء بالكسر، وهذه أوجه؛ ويعضدها قراءة ابن مسعود: «والله مع المؤمنين»، وقرىء: «ولن يغني عنكم»، بالياء للفصل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾: قرىء بطرح إحدى التاءين وإدغامها، والضمير في: ﴿عَنْهُ﴾، لرسول الله ـ ﷺ ـ لأنّ المعنى: وأطيعوا رسول الله؛ كقوله: «الله ورسوله أحق أن يرضوه»، ولأنّ طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد، ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾: فكأن رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما؛ كقولك: الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان، ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة، أي: ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه، أو ولا تتولوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ ولا تخالفوه، ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: تصدقون؛ لأنكم مؤمنون لستم كالصمّ المكذبين من الكفرة، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: ادّعوا السماء، ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ لأنهم ليسوا بمصدّقين فكأنهم غير سامعين، والمعنى: أنكم تصدّقون بالقرآن والنبوّة، فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها؛ كان تصديقكم كلا تصديق، وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن، ثم قال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي: إنّ شر من يدب على وجه الأرض، أو إنّ شرّ البهائم الذين هم صمّ عن الحق لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرّها، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ﴾: في هؤلاء الصم البكم، ﴿خَيْرًا﴾ أي: انتفاعاً باللطف، ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾: للطف بهم[1]، حتى يسمعوا

---

(١) قال محمود: «يعني: ولو علم الله أن اللطف ينفع في هؤلاء... إلخ» قال أحمد رحمه الله: إطلاق القول بأن الله تعالى يلطف بالعبد فلا ينفع لطفه مردود، فإن اللطف هو إسداء الجميل والإلطاف به، واسمه اللطيف من ذلك، فإذا أسدى الجميل إلى العبد بأن أسمعه إسماع لطيف به، فتلك الغاية المرجوة ومعنى اللطف به على هذا: أن يخلق في قلبه قبول الحق وحسن الإصغاء إليه والاهتداء به، ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال والرأي الفاسد في خلق الأفعال، لأن مقتضاها أن العبد =

سماع المصدقين، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا﴾، عنه، يعني: ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف؛ فلذلك منعهم ألطافه، أو: ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك، وكذبوا ولم يستقيموا، وقيل: هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير، وسويد بن حرملة: كانوا يقولون: نحن صم بُكم عُمي عما جاء به محمد، لا نسمعه ولا نجيبه، فقتلوا جميعاً بأحد، وكانوا أصحاب اللواء، وعن ابن جريج: هم المنافقون، وعن الحسن: أهل الكتاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾: وحد الضمير كما وحده فيما قبله؛ لأن استجابة رسول الله ـ ﷺ ـ كاستجابته، وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد، والمراد بالاستجابة، الطاعة، والامتثال، وبالدعوة: البعث والتحريض، وروى أبو هريرة أن النبي ـ ﷺ ـ مرّ على باب أبيّ بن كعب، فناداه وهو في الصلاة، فعجل في صلاته ثم جاء فقال: «مَا مَنَعَكَ عَنْ إِجَابَتِي؟ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ تُخْبَرْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، قَالَ: لاَ جَرَمَ لا تَدْعُونِي إلا أجبتك (٦٣٨)، وفيه قولان، أحدهما: إن هذا مما اختص به

---

٦٣٨ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/ ١٥٥): كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، حديث (٢٨٧٥)، والنَّسائي (٢/ ١٣٩): كتاب الإفتتاح: باب تأويل قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٢١) رقم (٥٠١) إلى ابن مردويه في تفسيره.
قال الحافظ: أخرجه التِّرمذي والنَّسائي دون قوله: لا جرم إلى آخره وأخرجه ابن مردويه من الوجه الذي أخرجه منه التِّرمذي، وفي آخره قال: «إني لاجرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبتك وإن كنت أصلي»، وفي الباب عن أبي سعيد بن الحكم، أخرجه البخاري بغير هذا السياق واقتصر عليه الطيبي. انتهى.

= هو الذي يخلق لنفسه قبول الحق والهداية وحسن الاستماع والإصغاء، وأن الله تعالى لا يشارك العبد في خلق ذلك، بل الذي ينسب إلى الله تعالى إرادة الهداية من جميع الخلق، ولا يلزم حصول مراده على العموم ـ تعالى الله عما يقولون ـ ثم ولو تنزل متنزل على هذه القاعدة لما استقام تأويل الزمخشري أيضاً، فإن حاصله: ولو علم الله فيهم خيراً للطف بهم، ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف، فيلزم عدم انتفاعهم باللطف على تقدير علم الله الخير فيهم، وهذا غير مستقيم لما يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم لله تعالى، وذلك محال عقلاً، فلا يرتفع الإشكال إلا بتقدير الإسماع الواقع جواباً أولاً، خلاف الأسماع الواقع شرطاً ثانياً، كيلا يتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور. وأقرب وجه في اختلاف الإسماعين: أن يراد بالأول: ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم إسماعاً يخلق لهم به الهداية والقبول، ولو أسمعهم لا على أنه يخلق لهم الاهتداء، بل إسماعاً مجرداً من ذلك، لتولوا وهم معرضون. فهذا هو الوجه في تأويل الآية، والله الموفق.

رسول الله ـ ﷺ ـ.

والثاني: أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير، وإذا وقع مثله للمصلي، فله أن يقطع صلاته، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: من علوم الديانات والشرائع؛ لأن العلم حياة، كما أنّ الجهل موت؛ ولبعضهم [من المنسرح]:

لاَ تُعْجِبَنَّ الْجَهُولَ حُلَّتُهُ فَذَاكَ مَيْتٌ/ ٢٧٣ب وَثَوْبُهُ كَفَنُ[1]

وقيل لمجاهدة الكفار؛ لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم؛ كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقيل للشهادة؛ لقوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ يعني: أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها[2]، وهي التمكن من إخلاص القلب، ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليماً كما يريده الله، فاغتنموا هذه الفرصة، وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيثيبكم على حسب سلامة القلوب، وإخلاص الطاعة، وقيل: معناه: إنّ الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه، ويغير نياته ومقاصده، ويبدله بالخوف أمناً، وبالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً، وبالنسيان ذكراً، وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى، فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب[3] من أفعال القلوب فلا، والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر، وبينه وبين الكفر إذا آمن، تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً، وقيل: معناه: أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله، لا يخفى عليه شيء من ضمائره، فكأنه

---

(١) للزمخشري، نهي للجهول عن العجب والخيلاء بثيابه، لأنه كالميت في عدم النفع وعدم الإدراك، ويلزم من ذلك أن ثوبه الذي يعجب به كالكفن، حيث اشتمل على جسم لا إدراك فيه ولا نفع. والميت هنا بالتخفيف.
ينظر البحر المحيط (٤/ ٥٠٣)، اللسان (روح)، التنبيه والإيضاح (١/ ٢٤٠)، مجمل اللغة (٢/ ٤٤١)، وللسليك بن السلكة من ديوانه ص (٥٠) والشعر والشعراء ص (٣٧٣)، جمهرة الأمثال (١/ ١٣٠)، عيون الأخبار ١/ ٢٧١، ومجمع ٢/ ١١، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٢/ ٤٦٤). الدر المصون (٣/ ٤٤٦).

(٢) قال محمود: «معناه أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها... إلخ» قال أحمد رحمه الله: نعم، هذا عقد أهل السنة الذي استعار لهم لقب المجبرة، وهو العقد الحق المؤسس على التقوى وتفويض المخلوقات كلها إلى الواحد الحق خالق الخلق، فإن كان ذلك ظلماً فأنا بريء من الطائفة المتسمية بالعدلية، إصراراً على هذا الرأي الباطل والمعتقد الماحل، والله الموفق.

(٣) قوله: «فأما ما يثاب العبد عليه... إلخ» المسألة هنا من فروع مسألة خلق أفعال العباد الاختيارية، فعند المعتزلة أن المريد الخالق لها هو العبد، وإذا صح تكليفه لظهور اختياره. وعند أهل السنة أن المريد الخالق لها هو الله تعالى. وإنما صح تكليف العبد لما له فيها من الكسب، وهو اختيار بعضها على بعض بشهادة الوجدان، خلافاً للجبرية القائلين بالجبر المحض، ومحله التوحيد.

بينه وبين قلبه، وقرىء: «بين المرء» بتشديد الراء، ووجهه أنه قد حذف الهمزة، وألقى حركتها على الراء، كالخب، ثم نوى الوقف على لغة من يقول: مررت بعمر.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فِتْنَةً﴾: ذنباً، قيل: هو إقرار المنكر بين أظهرهم؛ وقيل: افتراق الكلمة، وقيل: (فتنة): عذاباً، وقوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾: لا يخلو من أن يكون جواباً للأمر، أو نهياً بعد أمر، أو صفة لفتنة، فإذا كان جواباً، فالمعنى: إن إصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيراً[1]، فعمهم الله بالعذاب، وإذا كانت نهياً بعد أمر فكأنه قيل: واحذروا ذنباً أو عقاباً، ثم قيل: لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة، وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول؛ كأنه قيل: واتقوا فتنة مقولاً فيها لا تصيبنّ؛ ونظيره قوله [من الرجز]:

حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطْ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّ[2]

---

(١) قوله نهوا عن المنكر تعذيراً. التعذير في الأمر: التقصير فيه اهـ صحاح (ع).

(٢) بتنا بحسان ومعزاة يئط يلحس أذنيه وحينا يمتخط
ما زلت أسعى فيهمو وأختبط حتى إذا جن الظلام واختلط
جاءوا بمذق هل رأيت الذيب قط؟

لأحمد الرجاز. وقيل: إنه للعجاج، يصف رجلاً بالبخل. وبات بالقوم: إذا نزل بهم ليلاً. والأط: صوت الجوف. والمعز ـ محركة ومسكنة ـ والمعيز، والأمعوز، والمعزى: خلاف الضأن من الغنم. فهو اسم جمع، وتأنيث المعزى لغة. والاختباط: تطلب المعروف من غير اهتداء. يقول: نزلنا عند حسان ليلاً، والحال أن معزاه جائعة هزيلة، فالأطيط كناية عن الأول، والامتخاط كناية عن الثاني، ويجوز أن ذلك كناية عن كثرة المعز عنده، ولبخله قراهم بالمذق بعد مدة كان يمكنه أن يذبح لهم فيها شاة، وهذا أنسب بما بعده، وضمير أذنيه يحتمل عوده على المعزى لأنه مذكر عند الأكثر، ويجوز أنه عائد لحسان، وهو ذم شنيع. وفيهم: أي في حيه. وجن النبت: طال. والليل: أظلم. والذباب: كثرت أصواته. والظلام: كثر واختلط وتراكم بعضه فوق بعض بحيث لا ينخلله نور. والمذق: المزج. والمراد به لبن مخلوط بماء. ويروى: بمذق ـ بالكسر ـ: وهو ذلك اللبن. ويروى: جاؤوا بضيح، بمعجمة فمثناة تحتية فمهملة، بمعنى المذق، إلا أنه رقيق، و«هل رأيت» استفهام تقريري والجملة صفة لمذق، أي مذق مقول فيه ذلك، والمراد تشبيه المذق بالذيب في الكدرة، فكني بالاستفهام عن ذلك، لأن من أراد إخطار الشيء بالبال ورسمه في الخيال يستفهم عنه، فكأنه قال له هل رأيته؟ فقال نعم، قال: إن اللبن مثله، لكن حذف هذا كله واستغنى بالاستفهام عنه. وقط: ظرف مبني على الضم، وسكن للوقف. =

أي: بمذق مقول فيه هذا القول؛ لأنه سمار فيه لون الورقة[1] التي هي لون الذئب، ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود: «لتصيبنّ»، على جواب القسم المحذوف، وعن الحسن: نزلت في عليّ، وعمار، وطلحة، والزبير، وهو يوم الجمل خاصة، قال الزبير: نزلت فينا وقرأناها زماناً، وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها، وعن السدي: نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل، وروي: «أن الزبير كان يساير النبي ـ ﷺ ـ يوماً، إذ أقبل عليّ ـ رضي الله عنه ـ فضحك إليه الزبير، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كَيْفَ حُبُّكَ لِعَلِيّ؟ فَقَالَ: يَا رسول/ ٢٧٤أ الله، بأبي أنت وأمي، إني أحبه كحبي لوالدي أو أشدّ حبًّا، قال: فَكَيْفَ أَنْتَ إِذَا سِرْتَ إِلَيْهِ تُقَاتِلُهُ» (٦٣٩).

فإن قلت: كيف جاز أن يدخل النون المؤكدة في جواب الأمر؟

قلت: لأنّ فيه معنى النهي، إذا قلت: انزل عن الدابة لا تطرحك؛ فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبنّ ولا يحطمنكم.

فإن قلت: فما معنى (من) في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ﴾؟

قلت: التبعيض على الوجه الأوّل؛ والتبيين على الثاني؛ لأنّ المعنى: لا تصيبنكم

---

٦٣٩ ـ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤١٤ ـ ٤١٥).
وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٢٢) رقم (٥٠٢) إلى ابن أبي شيبة في مسنده.
قال الحافظ: لم أجده هكذا، وإنما رواه ابن أبي شيبة من طريق الأسود بن قيس حدثني من رأى الزبير يعقص الخيل فناداه علي: يا أبا عبد الله، فأقبل حتى التقت أعناق دوابهما، فقال له علي: أنشدك الله، أتذكر يوم أتانا رسول الله ﷺ وأنا أناجيك فقال: أتناجيه؟ والله ليقاتلنك وهو لك ظالم قال: فضرب الزبير وجه دابته فانصرف، «وروى البيهقي في الدلائل من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلمي عن أبيه قال: «لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير، ودنت الصفوف بعضها من بعض خرج علي فنادى: ادعوا لي الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال علي ـ رضي الله عنهما ـ: يا زبير، نشدتك الله، أتذكر يوم مر بنا رسول الله ﷺ ونحن بمكان كذا وكذا فقال: يا زبير، أتحب علياً؟ فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمتي وعلي قريبي؟ قال: أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم؟ قال، بلى، ولكني نسيته، وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة قال: «لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ عليا فقال: لو كان يعلم أنه على حق ما ولى وذلك أن النبي ﷺ لقيه في سقيفة بني ساعدة فقال: أتحبه يا زبير؟ قال: وما يمنعني؟ قال: فكيف بك إذا قاتلته». انتهى.

= ينظر: أمالي الزجاجي (٢٣٧)، والمغني ١/ ٢٤٦، والمقرب ١/ ٢٢٠، والخزانة ٢/ ١٠٩، والدرر ٢/ ١٤٨ والهمع ٢/ ١١٧، وأوضح المسالك ٣/ ٣١٠، والأشموني ٣/ ٦٤، ٢١٩، والعين ٤/ ٦١، والإنصاف ١/ ١١٥، والارتشاف ٢/ ٨٣١، والدر المصون ٣/ ٤١١.

(١) قوله: «لأنه سمار فيه لون الورقة» قوله: «سمار» هو ـ بالفتح ـ لبن رقيق. وتسمير اللبن. ترقيقه بالماء. والورقة: بياض يضرب إلى سواد وإلى خضرة اهـ صحاح (ع).

خاصة على ظلمكم؛ لأن الظلم أقبح منكم من سائر الناس[1].

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِذْ أَنتُمْ﴾: نصبه على أنه مفعول به مذكور لا ظرف، أي: اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾؛ لأن الناس كانوا جميعاً لهم أعداء منافين مضادّين، ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾: إلى المدينة، ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾: بمظاهرة الأنصار، وبإمداد الملائكة يوم بدر، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: من الغنائم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: إرادة أن تشكروا هذه النعم، وعن قتادة: كان هذا الحيّ من العرب أذلّ الناس، وأشقاهم عيشاً، وأعراهم جلداً، وأبينهم ضلالاً، يؤكلون ولا يأكلون، فمكن الله لهم في البلاد، ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾

معنى الخون: النقص، كما أن معنى الوفاء التمام، ومنه: تخوّنه، إذا تنقصه، ثم استعمل في ضدّ الأمانة والوفاء؛ لأنك إذاخنت الرجل في شيء، فقد أدخلت عليه النقصان فيه، وقد استعير فقيل: خان الدلو الكرب، وخان المشتار السبب[2]؛ لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾، والمعنى: لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه، ورسوله بألاّ تستنوا به، و﴿أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾؛ فيما بينكم بألاّ تحفظوها، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: تبعة. ذلك ووباله، وقيل: وأنتم تعلمون أنكم تخونون، يعني: أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو، وقيل: وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن، وروي أن نبي الله ـ ﷺ ـ حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة[3]، فسألوا

---

(١) قوله: «أقبح منكم من سائر الناس، لعله منه من سائر الناس (ع).

(٢) قوله: «خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب. قوله: «الكرب» حبل يشد في رأس الدلو. والمشتار مجتني العسل. والسبب: الحبل اهـ صحاح (ع).

(٣) أخرجه الثعلبي عن الكلبي بغير سند، لكن سنده إليه في أول الكتاب. وقد روى ابن إسحاق في المغازي: حدثنا إسحاق بن يسار عن عبد بن كعب السلمي «أن رسول الله ﷺ حاصرهم ـ يعني قريظة ـ خمساً وعشرين ليلة ـ فذكر القصة بطولها ـ إلى أن قال: ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر فذكر قصة مختصرة. وأخرجها البيهقي في الدلائل من طريق سعيد بن المسيب في قصة طويلة ـ فذكر نحو ما هنا. وهكذا ذكرها عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: كان أبو لبابة ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك. فربط نفسه بسارية فذكر القصة» وأخرجه الواقدي عن معمر عن =

الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام، فأبى رسول الله ـ ﷺ ـ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحاً لهم؛ لأنّ عياله وماله في أيديهم، فبعثه إليهم فقالوا له: ما نرى، هل ننزل على حكم سعد؟ فأشار إلى حلقه إنه الذبح، قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله؛ فنزلت، فشدّ نفسه على سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً/ ٢٧٤ب عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: قد تيب عليك فحل نفسك، فقال: لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ـ ﷺ ـ هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده فقال: إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال ـ ﷺ ـ: يجزيك الثلث أن تتصدّق به (٦٤٠)، وعن المغيرة: نزلت في قتل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وقيل: (أماناتكم)؛ ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده.

فإن قلت: (وتخونوا): جزم هو أم نصب؟

قلت: يحتمل أن يكون جزماً داخلاً في حكم النهي، وأن يكون نصباً بإضمار «أن»؛ كقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢]، وقرأ مجاهد: «وتخونوا أمانتكم»، على التوحيد.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

جعل الأموال والأولاد فتنة؛ لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب، أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما تؤدي إليه هممكم، وتزهدوا في الدنيا، ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد؛ حتى توزّطوا أنفسكم من أجلهما؛ كقوله: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ

---

٦٤٠ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) رقم (١٣٨١ ـ ١٣٨٢ ـ ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦) رقم (٩٧٤٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٢٠)، رقم (١٥٩٣٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٣).

وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٢٥) إلى الثعلبي في تفسيره، وإلى الواقدي في كتاب المغازي.

= الزهري عن ابن كعب بن مالك مثله.

(تنبيه) تسمية أبي لبابة مروان لم أره إلا من هذه الرواية. ومدة حصار بني قريظة المحفوظ فيها ما قاله ابن إسحاق.

﴿الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦]، وقيل: هي من جملة ما نزل في أبي لبابة، وما فرط منه لأجل ماله وولده.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فُرْقَانًا﴾: نصراً؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال حزبه، والإسلام بإعزاز أهله؛ ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] أو بياناً وظهوراً يشهر أمركم، ويبث صيتكم، وآثاركم في أقطار الأرض، من قولهم: (بت أفعل كذا) حتى سطع الفرقان: أي طلع الفجر، أو مخرجاً من الشبهات وتوفيقاً وشرحاً للصدور، أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان، وفضلاً ومزية في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

لما فتح الله عليه، ذكره مكر قريش به حين كان بمكة؛ ليشكر نعمة الله ـ عزّ وجلّ ـ في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم، وما أتاح الله له من حسن العاقبة، والمعنى: واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشاً ـ لما أسلمت الأنصار وبايعوه ـ فرقوا أن يتفاقم أمره[1]، فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره، فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ، وقال: أنا شيخ من نجد، ما أنا من تهامة، دخلت مكة فسمعت باجتماعكم، فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فقال أبو البختري: رأيي أن تحبسوه في بيت، وتشدّوا وثاقه، وتسدوا بابه غير كوّة يلقون إليه طعامه وشرابه منها، وتتربصوا به ريب المنون، فقال إبليس: بئس الرأي، يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم، فقال هشام بن عمرو: رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع واسترحتم، فقال إبليس: بئس الرأي، يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم، فقال أبو جهل: أنا أرى أن تأخذوا من كل/ ٢٧٥أ بطن غلاماً وتعطوه سيفاً صارماً، فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا، فقال الشيخ ـ لعنه الله ـ: صدق هذا الفتى، هو أجودكم رأياً، فتفرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله، فأخبر جبريل ـ عليه السلام ـ رسول الله ـ ﷺ ـ وأمره ألاّ يبيت في مضجعه، وأذن الله له في الهجرة، فأمر علياً ـ رضي الله عنه ـ

(١) «فرقوا أن يتفاقم أمره» أي خافوا أن يعظم أمره. اهـ صحاح (ع).

obeikandi.com

فنام في مضجعه، وقال له: «اتَّشِحْ بِبُرْدَتِي؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلَصَ إِلَيْكَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ» وباتُوا مترصدين، فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه، فأبصروا عليًا فبهتوا وخيب الله ـ عزّ وجلّ ـ سعيهم، واقتصوا أثره، فأبطل الله مكرهم (٦٤١) ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: ليسجنوك، أو يوثقوك، أو يثخنوك بالضرب والجرح، من قولهم: ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح، وفلان مثبت وجعاً، وقرىء: «ليثبتوك»، بالتشديد، وقرأ النخعي: «ليبيتوك»، من البيات، وعن ابن عباس: «ليقيدوك»، وهو دليل لمن فسره بالإيثاق، ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾: ويخفون المكايد له، ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾: ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أي: مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً، أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل، ولا يصيب إلا بما هو مستوجب.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾: نفاجة منهم وصلف[1] تحت الراعدة؛ فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة، وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من

---

٦٤١ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ١٠٠ ـ ١٠١) رقم (٥٠٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ـ ٤٦٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٨٤) رقم (٩٧٤٣)، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) رقم (١٥٩٧٩ ـ ١٥٩٨٢ ـ ١٥٩٨٣)، وذكره السيوطي في تفسيره (٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).
قال الحافظ: القصة أخرجها ابن إسحاق في المغازي: حدثني من لا أتهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: «لما اجتمعت قريش في دار الندوة، وتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ اعترضهم إبليس في هيئة شيخ فذكره مطولاً»، وأخرجه الطبري وأبو نعيم في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح. وليس في أوله أن ذلك بسبب الأنصار. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة قال: «لما كثر المسلمون ـ فذكر معناها. ووصلها الواقدي عن معمر بذكر عائشة قال: وعن ابن أبي خيثمة عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس نحوه. انتهى.

---

(١) قوله: «نفاجة منهم وصلف الخ» «نفاجة» أي تكبر. و«الصلف» مجاوزة الحد كبرا. و«الراعدة» السحابة. وهذا مثل يضرب للرجل يتوعد ثم لا يقوم به. والقدح المعلي: أحد سهام الميسر يخرج للغالب اهـ صحاح (ع).

تحدّاهم وقرعهم بالعجز، حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه، مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة، وأن يماتنهم واحد، فيتعللوا بامتناع المشيئة، ومع ما علم وظهر ظهور الشمس، من حرصهم على أن يقهروا رسول الله ـ ﷺ ـ وتهالكهم على أن يغمروه[1]، وقيل: قائله النضر بن الحَارث المقتول صبراً، حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون: لو شئت لقلت مثل هذا، وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذاك، وأنه من جملة تلك الأساطير، وهو القائل: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾، وهذا أسلوب من الجحود بليغ، يعني: إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل، كما فعلت بأصحاب الفيل، أو بعذاب آخر، ومراده نفي كونه حقًّا، وإذا انتفى كونه حقًّا لم يستوجب منكره عذاباً فكان تعليق العذاب بكونه حقًّا مع اعتقاد أنه ليس بحق؛ كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقًّا، فأمطر علينا حجارة، وقوله: ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾: تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحق، وقرأ الأعمش: (هو الحقُّ) بالرفع، على أن/ ٢٧٥ب هو مبتدأ غير فصل، وهو في القراءة الأولى فصل، ويقال: أمطرت السماء؛ كقولك: أنجمت وأسبلت[2]، ومطرت؛ كقولك: هتنت وهتلت، وقد كثر الإمطار في معنى العذاب.

فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؟ والأمطار لا تكون إلامنها.

قلت: كأنه يريد أن يقال: فأمطر علينا السجيل، وهي الحجارة المسوّمة للعذاب، فوضع: (حجارة من السماء): موضع السجيل، كما تقول: صب عليه مسرودة من حديد، تريد درعاً، ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: بنوع آخر من جنس العذاب الأليم، يعني: أن أمطار السجيل بعض العذاب الأليم، فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه، وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! قال: أجهل من قومي قومك، قالوا لرسول الله ـ ﷺ ـ حين دعاهم إلى الحق: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾، ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا له، اللام لتأكيد النفي، والدلالة على أنّ تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة؛ لأن عادة الله وقضية حكمته ألاّ يعذب قوماً عذاب استئصال، ما دام نبيهم بين أظهرهم، وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم؛ والدليل على هذا الإشعار قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾، وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب، كأنه قال: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم،

---

(١) قوله: «على أن يغمروه» يقال للرجل: غمره القوم، إذا علوه شرفاً، كذا في الصحاح (ع).

(٢) قوله: «أنجمت وأسبلت الخ» أنجمت: أي انكشفت نجومها. وأسبلت: أمطرت. وهتنت وهتلت: تتابع مطرها. اهـ صحاح (ع).

وهو معذبهم إذا فارقتهم، وما لهم ألاّ يعذبهم، ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: في موضع الحال، ومعناه: نفي الاستغفار عنهم، أي: ولو كانوا ممن يؤمن، ويستغفر من الكفر لما عذبهم؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود:١١٧]، ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون، ولا يتوقع ذلك منهم، وقيل: معناه: وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر، وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله ـ ﷺ ـ من المستضعفين، ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾: وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم، يعني: لا حظّ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة، وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدّون عن المسجد الحرام كما صدّوا رسول الله ـ ﷺ ـ عام الحديبية، وإخراجهم رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين من الصدّ، وكانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم، فنصدّ من نشاء، وندخل من نشاء، ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾: وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه، ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾: من المسلمين ليس كل مسلم أيضاً ممن يصلح لأن يلي أمره؛ إنما يستأهل ولايته من كان برًّا تقيًّا، فكيف بالكفرة عبدة الأصنام، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة،/ ٢٧٦أ أو أراد بالأكثر: الجميع، كما يراد بالقلة: العدم.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

المكاء: فعال بوزن الثغاء والرغاء[1]، من مكا يمكو إذا صفر، ومنه المكاء، كأنه سمي بذلك؛ لكثرة مكائه، وأصله: الصفة، نحو الوضاء والفراء، وقرىء: «مكاً» بالقصر، ونظيرهما: البكي والبكاء، والتصدية: التصفيق، تفعلة من الصدى أو من صدَّ يصدّ[2]، ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] وقرأ الأعمش: «وما كان صلاتهم»، بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه.

فإن قلت: ما وجه هذا الكلام؟

قلت: هو نحو من قوله [من الطويل]:

وَمَا كُنْتُ أَخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُوداً أَوْ مُحَدْرَجَةً سُمْرَا[3]

---

(١) قوله: «بوزن الثغاء والرغاء» الثغاء: صوت الغنم. والرغاء: صوت الإبل. والمكاء ـ بالتشديد ـ: طائر وجمعه مكاكي اهـ صحاح (ع).

(٢) قوله: «أو من صد يصد» في الصحاح: صد يصد ويصد صديداً: أي ضج (ع).

(٣) للفرزدق. «والأدهم» في الأصل الأسود. ثم غلب على الحبة السوداء، ثم سمي به القيد الحديد. «والمحدرج» المفتول: أي ما كنت. أظن أن يكون عطاؤه قيوداً سوداً، أو سياطاً مفتولة سمراً =

والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء، ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة؛ وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة: الرجال والنساء، وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ في صلاته يخلطون عليه، ﴿فَذُوقُواْ﴾: عذاب القتل والأسر يوم بدر؛ بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قيل: نزلت في المطعمين يوم بدر، كان يطعم كل واحد منهم كلّ يوم عشر جزائر، وقيل: قالوا لكل من كان له تجارة في العير: أعينوا بهذا المال على حرب محمد؛ لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر، وقيل: نزلت في أبي سفيان، وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب؛ وأنفق عليهم أربعين أوقية، والأوقية: اثنان وأربعون مثقالاً، ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتباع محمد وهو سبيل الله، وإن لم يكن عندهم كذلك، ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتباع محمد وهو سبيل الله، وإن لم يكن عندهم كذلك، ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: تكون عاقبة إنفاقها ندماً وحسرة، فكأنّ ذاتها تصير ندماً وتنقلب حسرة، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ﴾: آخر الأمر، وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالاً قبل ذلك فيرجعون طلقاء[1]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: والكافرون منهم، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾؛ لأنّ منهم من أسلم وحسن إسلامه، ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾: الفريق الخبيث من الكفار، ﴿مِنَ﴾: الفريق، ﴿ٱلطَّيِّبِ﴾: من المؤمنين، فيجعل الفريق، ﴿ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾: عبارة عن الجمع والضم، حتى يتراكبوا؛ كقوله تعالى: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٢] يعني:

= حقيقة. أو وصفها بذلك لقبحها، كما يصفون الحسن بالأخضر. ويروى «حمرا» فوضع القيود والسياط موضع العطاء، ووضع الشاعر الرجاء موضع الظن، وأطلق العطاء على العقاب مجازاً، وعرض بذلك إلى أنه كان يرجو العطا. ويروى:

أخاف زياداً أن يكون . . . .

ينظر ديوانه ١/ ٢٧٧، والبحر ٣/ ٩٠، والدر المصون ٢/ ٢٣٥.

(١) قوله: «فيرجعون طلقاء» في الصحاح «الطليق» الأسير الذي أطلق عنه إساره وخلي سبيله (ع).

لفرط ازدحامهم، ﴿أُولَٰئِكَ﴾: إشارة إلى الفريق الخبيث، وقيل: ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله ـ ﷺ ـ من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته، (فيركمه): فيجعله في جهنم في جملة ما يعذّبون به؛ كقوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]، واللام على هذا متعلقة بقوله: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦]، وعلى الأوّل/ ٢١٧٦ب، وأولئك: إشارة إلى الذين كفروا، وقرىء: «ليميز» على التخفيف.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: من أبي سفيان وأصحابه، أي: قل لأجلهم هذا القول وهو: ﴿إِن يَنتَهُوا۟﴾، ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل: إن تنتهوا يغفر لكم، وهي قراءة ابن مسعود؛ ونحوه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، خاطبوا به غيرهم لأجلهم ليسمعوه، أي: إن ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله ـ ﷺ ـ وقتاله بالدخول في الإسلام، ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾: لهم من العداوة، ﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾: لقتاله، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر، أو: فقد مضت سنة الذين تحزّبوا على أنبيائهم من الأمم فدمّروا، فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا، وقيل: معناه: أنّ الكفار إذا انتهوا عن الكفر، وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي، وخرجوا منها كما تنسلّ الشعرة من العجين، ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الإِسْلاَمُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ» (٦٤٢) وقالوا: الحربي إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط، وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله، وتبقى عليه حقوق الآدميين؛ وبه احتجّ

---

٦٤٢ ـ أخرجه مسلم كتاب الإيمان: باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج حديث (١٩٢/ ١٢١). وأحمد (٤/ ٢٠٥)، وأبو عوانة (١/ ٧٠) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة عن عمرو بن العاص به.

ولفظ مسلم: «الإسلام يهدم ما كان قبله».

قال الحافظ: أخرجه مسلم من رواية عبد الرحمن بن أسامة عن عمرو بن العاص في قصة. وفيها هذا لكن بلفظ: «يهدم ما قبله» قال النووي: غلط كثير من الفقهاء فذكره بلفظ: «يجب ما قبله» ويورى: «يحت» بالمهملة والمثناة اهـ. وقد رواه الطبري من هذا الوجه، بلفظ: «إن الإسلام يجب ما كان قبله»، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي من طريق حبيب بن أبي أُويس الثقفي حدثني عمرو بن العاص من فيه إلى في قال: «لما جئت أريد الإسلام فذكر القصة. وفيها يا عمرو، إن الإسلام يَجُبُّ ما قبله. والهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها»، ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وإسحاق والبيهقي في الدلائل. وأخرجه ابن سعد في خالد بن الوليد من طريق المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: قال خالد بن الوليد... فذكر قصة إسلامه وفيها: «إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله»، =

أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ في أنّ المرتدّ إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردّة، وقبلها؛ وفسر: ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾: بالارتداد، وقرىء: ﴿يُغْفَرْ لَهُم﴾، على أن الضمير لله ـ عزّ وجلّ ـ.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: إلى ألاّ يوجد فيهم شرك قط، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾: ويضمحل عنهم كل دين باطل، ويبقى فيهم دين الإسلام وحده، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾: عن الكفر وأسلموا، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يثيبهم على توبتهم وإسلامهم، وقرىء: «تعملون»، بالتاء، فيكون المعنى: فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله، والدعوة إلى دينه، والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام، ﴿بَصِيرٌ﴾: يجازيكم عليه أحسن الجزاء، ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: ولم ينتهوا، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: ناصركم ومعينكم، فثقوا بولايته ونصرته.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ ما: موصولة، و﴿مِّن شَىْءٍ﴾: بيانه، قيل: من شيء حتى الخيط والمخيط، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ﴾: مبتدأ خبره محذوف، تقديره: فحق، أو فواجب أن لله خمسه، وروى الجعفي عن أبي عمرو؛ «فإن لله» بالكسر؛ وتقويه قراءة النخعي: «فلله خمسه»، والمشهورة آكد وأثبت للإيجاب، كأنه قيل: فلا بد من ثبات الخمس فيه، لا سبيل إلى الإخلاف به والتفريط فيه، من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات؛ كقولك: ثابت واجب حق لازم، وما أشبه ذلك، كان أقوى لإيجابه من النص على واحد، وقرىء: خمسه بالسكون.

فإن قلت: كيف قسمة الخمس؟

قلت: عند أبي/ ٢٧٧أ حنيفة ـ رحمه الله ـ أنها كانت في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ على

= وفي ترجمة المغيرة بن شعبة من رواية يعقوب بن عتبة عن المغيرة. فذكر قصة إسلامه. وفيها ذلك. وفي ترجمة هبار بن الأسود من حديث جبير بن مطعم في قصة إسلام هبار. وفيه: «والإسلام يَجُبُّ ما كان قبله»، وفي أسانيد الثلاثة الواقدي. انتهى.

خمسة أسهم: سهم لرسول الله ـ ﷺ ـ وسهم لذوي قرباء من بني هاشم وبني المطلب، دون بني عبد شمس وبني نوفل، استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة، لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قالا لرسول الله ـ ﷺ ـ: هؤلاء إخوتك بنو هاشم، لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، أرأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا، وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة، فقال ـ ﷺ ـ: «إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ؛ إِنَّما بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلَبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ» (٦٤٣) وشبك بين أصابعه، وثلاثة أسهم: لليتامى والمساكين، وابن السبيل، وأمّا بعد رسول الله ـ ﷺ ـ فسهمه ساقط بموته، وكذلك سهم ذوي القربى؛ وإنما يعطون لفقرهم، فهم أسوة سائر الفقراء، ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وأمّا عند الشافعي ـ رحمه الله ـ فيقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله ـ ﷺ ـ يصرف: إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين: كعدّة الغزاة من السلاح والكراع[1] ونحو ذلك، وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم: يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، والباقي للفرق الثلاث، وعند مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ: الأمر فيه مفوّض إلى اجتهاد الإمام؛ إن رأى قسمه بين هؤلاء، وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض، وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم.

فإن قلت: ما معنى ذكر الله ـ عزّ وجلّ ـ وعطف الرسول وغيره عليه[2].

---

٦٤٣ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٢٨١): كتاب فرض الخُمس، حديث (٣١٤٠)، وطرفاه في (٣٥٠٢، ٤٢٢٩)، وأبو داود (٣/ ١٤٥): كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في بيان مواضع قسم الخُمس وسهم ذي القربى، حديث (٢٩٧٨ ـ ٢٩٧٩ ـ ٢٩٨٠)، والنَّسائي (٧/ ١٣٠): كتاب قسم الفيء، وابن ماجه (٢/ ٩٦١): كتاب الجهاد: باب قسمة الخُمس، حديث (٢٨٨١) وأحمد (٤/ ٨١ ـ ٨٣).
قال الحافظ: أخرجه أبو داود والنَّسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم بتمامه، وهو في الصحيح دون قوله: «لم يفارقوني». انتهى.

---

(١) قوله: «من السلاح والكراع» الكراع: هو اسم جمع للخيل اهـ صحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه... إلخ» قال أحمد: لأن مالكاً رضي الله عنه لا يرى ذكر الوجوه المذكورة لبيان أنه لا يصرف فيما سواها، وليس لأن يتملكاها ولا على التحديد حتى لا يجوز الاقتصار على بعض الوجوه دون بعض، بل الأمر عنده موكول إلى نظر الإمام فيصرف الخمس في مصالح المسلمين ومن جملتها قرابته عليه الصلاة والسلام، ولا تحديد عنده في ذلك ألبتة، وهذا التأويل الثالث ينطبق على مذهبه، وبيان ذلك أن المراد حينئذ بذكر الله تعالى بيان أن الخمس يصرف في وجوه التقربات لله تعالى غير مقيد، ثم تخصيص الوجوه المذكورة بعد ليس تحديداً، ولكن تنبيهاً على فضلها والتخصيص لقصد التفصيل بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الأول، بل هو قار على حاله، كما أن العموم ثابت للملائكة وإن خص جبريل وميكال، بعده، والله تعالى أعلم.

قلت: يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول، لرسول الله ـ ﷺ ـ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، وأن يراد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب، وأن يراد بقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾: أن من حق الخمس أن يكون متقرّباً به إليه لا غير، ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة، تفضيلاً لها على غيرها؛ كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فعلى الاحتمال الأول: مذهب الإمامين، وعلى الثاني: ما قال أبو العالية: أنه يقسم على ستة أسهم: سهم لله تعالى، يصرف إلى رتاج الكعبة[1]، وعنه: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة، وهو سهم الله تعالى، ثم يقسم ما بقي على خمسة (٦٤٤)، وقيل إن سهم الله ـ تعالى ـ لبيت المال، وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه كان على ستة أسهم: لله وللرسول سهمان، وسهم لأقاربه حتى قبض، فأجرى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الخمس على ثلاثة، وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء، وروي أن أبا بكر رضي الله عنه ـ منع بني هاشم الخمس، وقال: إنما لكم أن يعطى فقيركم، ويزوّج أيمكم، ويخدم من لا خادم له منكم، فأما الغني منكم: فهو بمنزلة ابن سبيل، غنيّ لا يعطى من الصدقة شيئاً؛ ولا يتيم/ ٢٧٧ب موسر، وعن زيد بن علي ـ رضي الله عنه ـ: كذلك قال، ليس لنا أن نبني منه قصوراً، ولا أن نركب منه البراذين، وقيل: الخمس كله للقرابة، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قيل له: إنّ الله تعالى قال: ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ فقال: أيتامنا ومساكيننا، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ في سهم رسول الله ـ ﷺ ـ: أنه لولي الأمر من بعده، وعن الكلبي ـ رضي الله عنه ـ: أنّ الآية

---

٦٤٤ ـ أخرجه أبو داود في كتابه المراسيل (ص ٢٧٥) رقم (٣٧٤)، باب ما جاء في قسمة الخمس. وذكر المزي في «تهذيب الكمال» (٢١/ ٥٣١ ـ ٥٣٢) هذا الحديث في ترجمة عمر بن هشام القبطي، فقال: روي عن: عبد الله بن داود الخُريبي، عن أبي جعفر الرازي... ثم قال روي عنه: أبو داود في المراسيل هذا الحديث الواحد، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٥٠) رقم (١٦١١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٦).
قال الحافظ: أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية. قال: «كان النبي ﷺ إذا أتى بالغنيمة قسمها خمسة أقسام، ثم يقبض بيده قبضة من الخمس أجمع ثم يقول: هذه للكعبة. ثم يقول: لا تجعلوا لله نصيباً فإن لله الآخرة والدنيا، ثم يأخذ سهماً لنفسه وسهماً لذي القربى وسهماً لليتامى، وسهماً للمساكين، وسهماً لابن السبيل، أخرجه أبو عبيدة في الأموال، والطبري من هذا الوجه. انتهى.

---

(١) قوله: «يصرف إلى رتاج الكعبة» في الصحاح «الرتج» بالتحريك: الباب العظيم، وكذلك الرتاج. ومنه: رتاج الكعبة (ع).

نزلت ببدر. وقال الواقدي: كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة.

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾؟

قلت: بمحذوف يدل عليه: (واعلموا)، المعنى: إن كنتم آمنتم بالله، فاعلموا أنّ الخمس من الغنيمة يجب التقرب به، فاقطعوا عنه أطماعكم، واقتنعوا بالأخماس الأربعة، وليس المراد بالعلم المجرّد، ولكنه العلم المضمن بالعمل، والطاعة لأمر الله تعالى؛ لأنّ العلم المجرّد يستوي فيه المؤمن والكافر، ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾: معطوف على (بالله)، أي: إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل، ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: وقرىء: «عبدنا»؛ كقوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، بضمتين، ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، و﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾: الفريقان من المسلمين والكافرين، والمراد: ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: يقدر على أن ينصر القليل على الكثير، والذليل على العزيز، كما فعل بكم ذلك اليوم.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إذ﴾: بدل من يوم الفرقان، والعدوة: شط الوادي بالكسر والضم والفتح، وقرىء: «بهنّ» وبالعدية، على قلب الواو ياء؛ لأنّ بينها وبين الكسرة حاجزاً غير حصين كما في الصبية، والدنيا والقصوى: تأنيث الأدنى والأقصى.

فإن قلت: كلتاهما «فعلى» من بنات الواو، فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو؟

قلت: القياس هو قلب الواو ياء كالعليا، وأما القصوى: فكالقود في مجيئه على الأصل، وقد جاء القصيا، إلا أنّ استعمال القصوى أكثر، كما كثر استعمال: «استصوب» مع مجيء: «استصاب» و«أغيلت» مع: «أغالت»[1]، والعدوة الدنيا: مما يلي المدينة، والقصوى مما يلي مكة، ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: يعني الركب الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل، وأسفل: نصب على الظرف، معناه: مكاناً أسفل من مكانكم، وهو مرفوع المحل؛ لأنه خبر للمبتدأ.

---

(١) قوله: «وأغيلت مع أغالت» أغيلت: أي أرضعت وهو موطوءة. أفاده الصحاح (ع).

فإن قلت: ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين، «وأن العير كانت أسفل منهم[1]»؟

قلت: الفائدة فيه: الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدوّ وشوكته، وتكامل عدّته، وتمهد أسباب الغلبة له، وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم[2]، وأنّ غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله سبحانه، ودليلاً على أنّ ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوّته وباهر قدرته؛ وذلك أنّ العدوة القصوى التي/ ٢٧٨أ أناخ بها المشركون كان فيها الماء، وكانت أرضاً لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار[3] تسوخ فيها الأرجل، ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة، وكانت العير وراء ظهور العدوّ مع كثرة عددهم، فكانت الحماية دونها، تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم؛ ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم، ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال، وألاّ يتركوا وراءهم ما يحدّثون أنفسهم بالانحياز إليه، فيجمع ذلك قلوبهم، ويضبط هممهم، ويوطن نفوسهم، على ألاّ يبرحوا مواطنهم، ولا يخلوا مراكزهم، ويبذلوا منتهى نجدتهم، وقصارى شدّتهم، وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر؛ ليقضي أمراً كان مفعولاً، من إعزاز دينه، وإعلاء كلمته؛ حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة، حتى خرجوا ليأخذوا الغير راغبين في الخروج، وشخص بقريش[4] مرغوبين مما بلغهم من تعرّض رسول الله ـ ﷺ ـ لأموالهم، حتى نفروا ليمنعوا عيرهم، وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا، وهؤلاء بالعدوة القصوى، ووراءهم العير يحامون عليها، حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾: أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال، لخالف بعضكم بعضاً فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد، وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله ـ ﷺ ـ والمسلمين، فلم يتفق لكم من التلاقي في ما وفقه الله وسبب له، ﴿لِيَقْضِيَ﴾: متعلق بمحذوف، أي: ليقضي أمراً كان واجباً أن يفعل، وهو نصر أوليائه، وقهر أعدائه دبر ذلك، وقوله: ﴿لِّيَهْلِكَ﴾: بدل منه، واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام، أي: ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة، لا عن مخالجة شبهة، حتى لا تبقى له على الله حجة، ويصدر إسلام من أسلم ـ أيضاً ـ عن يقين، وعلم بأنه دين

---

(١) قال محمود: «إن قلت ما فائدة ذكر مركز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم... إلخ» قال أحمد: وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشري وتنقيبه عن أسرار الكتاب العزيز.

(٢) قوله: «والتياث أمرهم» أي اختلاط أمرهم اهـ صحاح (ع).

(٣) قوله: «وهي خبار» أي رخوة ذات جحرة. اهـ صحاح (ع).

(٤) قوله: «وشخص بقريش» يقال للرجل إذا ورد عليه أمر أقلقه: شخص به. اهـ صحاح (ع).

الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغرّ المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه، مغالطاً لها، وقرىء: «ليهَلك»، بفتح اللام، و﴿حيَّ﴾، بإظهار التضعيف، ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يعلم كيف يدبر أموركم، ويسوي مصالحكم، أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه، وبإيمان من آمن وثوابه.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إذ يريكهم الله﴾: نصبه بإضمار اذكر، أو هو بدل ثان من يوم الفرقان، أو متعلق بقوله: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك، ﴿فِى مَنَامِكَ﴾: في رؤياك، وذلك أن الله ـ عزّ وجلّ ـ أراه إياهم في رؤياه قليلاً، فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتاً لهم، وتشجيعاً على عدوهم، وعن الحسن/ ٢٧٨ب: في منامك: في عينك؛ لأنها مكان النوم، كما قيل للقطيفة[1]: المنامة؛ لأنه ينام فيها، وهذا تفسير فيه تعسف، وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن، وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته، ﴿لَفَشِلْتُمْ﴾: لجبنتم وهبتم الإقدام، ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾: في الرأي؛ وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم، وترجحتم بين الثبات والفرار، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: عصم، وأنعم بالسلامة من الفشل، والتنازع، والاختلاف، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: يعلم ما سيكون فيها من الجراءة، والجبن، والصبر، والجزع.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾: الضميران مفعولان، يعني: وإذ يبصركم إياهم، و﴿قَلِيلًا﴾: نصب على الحال؛ وإنما قللهم في أعينهم تصديقاً لرؤية رسول الله ـ ﷺ ـ وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدّوا ويثبتوا، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفاً (٦٤٥)، ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور.

---

٦٤٥ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٥٩) رقم (١٦١٧١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٣٤٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٣١ ـ ٣٢) إلى إسحاق بن راهويه في مسنده، وإلى ابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ: قال إسحاق في مسنده: أخبرنا عمرو بن محمد، يحيى بن آدم قال: حدثنا إسرائيل. =

---

(١) قوله: «للقطيفة» هي دثار مخمل. اهـ صحاح (ع).

فإن قلت: الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر، فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم؟

قلت: قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء، ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم؛ قلة مبالاة بهم، ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا، ويهابوا، وتفل شوكتهم[1] حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم؛ وذلك قوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣] ولئلا يستعدوا لهم، وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أوّلاً وكثرتهم آخراً.

فإن قلت: بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً[2]؟

قلت: بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير، كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين، قيل لبعضهم: إن الأحول يرى الواحد اثنين، وكان بين يديه ديك واحد فقال: مالي لا أرى هذين الديكين أربعة؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: إذا حاربتم جماعة من الكفار، وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار، واللقاء اسم للقتال غالب، ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾: لقتالهم ولا تفرّوا، ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: في مواطن الحرب مستظهرين بذكره، مستنصرين به، داعين له على عدوكم: اللهم، اخذلهم، اللهم، اقطع دابرهم، ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، وفيه إشعار بأنّ على العبد ألاّ يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلباً وأكثر ما يكون همًّا، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك، وإن كانت متوزعة عن غيره، وناهيك بما

= عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود. فذكره، ومن هذا الوجه أخرجه الطبري وابن أبي حاتم. انتهى.

---

(١) قوله: «وتفل شوكتهم» أي تكسر. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً... إلخ» قال أحمد: وفي هذا دليل بين على أن الله تعالى هو الذي يخلق الإدراك في الحاسة غير موقوف على سبب من مقابلة أو قرب أو ارتفاع حجب أو غير ذلك؛ إذ لو كانت هذه الأسباب موجبة للرؤية عقلاً لما أمكن أن يستر عنهم البعض وقد أدركوا البعض، والسبب الموجب مشترك، فعلى هذا يجوز أن يخلق الإدراك مع اجتماعها، فلا ربط إذا بين الرؤية ونفيها في مقدرة الله تعالى، وهي رادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى، بناء على اعتبار هذه الأسباب في حصول الإدراك عقلاً، وأنها تستلزم الجسمية؛ إذ المقابلة والقرب وارتفاع الحجب إنما تتأتى في جسم، فهذه الآية حسبهم في إبطال زعمهم، ولكنهم يمرون عليها. وهم عنها معرضون، والله الموفق.

في خطب أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج ـ من البلاغة، والبيان، ولطائف المعاني/ ٢٧٩أ، وبليغات المواعظ، والنصائح ـ دليلاً على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل، وإن تفاقم الأمر، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾: قرىء بتشديد النون، ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾: منصوب بإضمار «أن»؛ أو مجزوم لدخوله في حكم النهي، وتدل على التقديرين قراءة من قرأ، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: بالتاء والنصب، وقراءة من قرأ: ويذهب ريحكم، بالياء والجزم، والريح: الدولة، شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها، فقيل: هبت رياح فلان، إذا دالت له الدولة ونفذ أمره؛ ومنه قوله [من البسيط]:

يَا صَاحِبَيَّ أَلاَ لاَ حَيَّ بِالْوَادِي ... إِلاَّ عَبِيدٌ قُعُودٌ بَيْنَ أَذْوَادِ
أَتَنْظِرَانِ قَلِيلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ ... أَمْ تَغْدُوَانِ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْغَادِي؟[1]

وقيل: لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله ـ تعالى ـ وفي الحديث: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» (٦٤٦).

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

حذرهم ـ بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي ـ نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله ـ ﷺ ـ من فشلهم وذهاب ريحهم، ﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾: هم أهل مكة،

---

٦٤٦ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٦٠٤): كتاب الاستسقاء: باب قول النبي ﷺ: «نُصرت بالصبا»، حديث (١٠٣٥)، وأطرافه في (٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)، ومسلم (٣/ ٢٨٧ ـ الأبي) كتاب صلاة الاستسقاء: باب في ريح الصبا والدبور، حديث (١٧/ ٩٠٠).
قال الحافظ: متفق عليه من طريق مجاهد عن ابن عباس. انتهى.

---

(١) لسليك بن سلكة، مر مع صاحبيه بجوف مراد واد باليمن فوجدوا إبلاً قد ملأته، فقال لهما: أتنظراني هنا حتى آتي الرعاء فأعلم خبر الحي أقريب أم بعيد، فلم يزل يلاطفهم حتى أخبروه بمكان الحي، فإذا هم بعيد، فقال لهم: ألا أغنيكم؟ قالوا: بلى، فتغنى بأعلى صوته بالبيتين، فأتاه صاحباه فاستاقوا الإبل، وآم بالمد. قيل: جمع إماء جمع أمة. وقيل: هو أيضاً جمع أمة، فأصله أأمو كأذرع جمع ذراع. وعلى الثاني أأمو أيضاً، كأكم جمع أكمة، لأن أمة أصله أموة فأبدلت الهمزة الثانية في الجمع ألفاً وقلبت الواو ياء لتطرفها. والهمزة كسرة لمناسبتها، ثم أعل إعلال قاض. وروي بدله «قعود» والذود من الإبل: من ثلاثة إلى عشرة. وأتنظران، من أنظرته إذا أخرته. والريث: التأخر والتواني، وهو نصب على البدلية من قليلاً. أو على الظرفية. ويجوز قراءة أتنظران، من نظره إذا انتظره. فريث. يجوز أنه مفعول به. و«وتعدوان» من العدو، وهو السرعة السير، أو من العدوان، وهو تعدي الحد. واستعار الريح للدولة والأمر النافذ بجامع النفوذ من كل. ويروى «تغدوان» و«للغادي» بالغين المعجمة: أي أم تسرعان إلي، فإن الظفر للمسرع. وفيه دلالة على أن السرعة أرجح من التأخر.

حين خرجوا لحماية العير، فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة: أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فأبى أبو جهل، وقال: حتى نقدم بدراً نشرب بها الخمور، وتعزف علينا القيان[1]، ونطعم بها من حضرنا من العرب؛ فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم، فوافوها، فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم، وأن يكونوا من أهل التقوى[2]، والكآبة، والحزن من خشية الله ـ عزّ وجلّ ـ مخلصين أعمالهم لله.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿و﴾: اذكر، ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: التي عملوها في معاداة رسول الله ـ ﷺ ـ ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون، وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم، فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم، أي: بطل كيده حين نزلت جنود الله؛ وكذا عن الحسن ـ رحمه الله ـ: كان ذلك على سبيل الوسوسة، ولم يتمثل لهم، وقيل: لما اجتمعت قريش على السير، ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة من الحرب، فكان ذلك يثنيهم، فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني ـ وكان من أشرافهم ـ في جند من الشياطين معه راية، وقال: لا غالب لكم اليوم، وإني مجيركم من بني كنانة، فلما رأى الملائكة تنزل، نكص وقيل: كانت يده في يد الحارث بن هشام، فلما نكص قال له الحارث: إلى أين؟ أتخذلنا في هذه الحال؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، ودفع في صدر الحارث وانطلق، وانهزموا، فلما بلغوا مكة، قالوا: هزم الناس سراقة، فبلغ ذلك سراقة، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان، وفي الحديث: وما رؤي إبليس/ ٢٧٩ب يوماً أصغر، ولا أدحر[3]، ولا أغيظ، من يوم عرفة، لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رؤي يوم بدر (٦٤٧).

---

٦٤٧ ـ أخرجه مالك في «الموطأ»: (١/ ٤٢٢) كتاب الحج: باب جامع الحج، حديث (٢٤٥) مرسلاً، =

---

(١) قوله: «وتعزف علينا القيان» تلعب بالملاهي وتغني والقينة الأمة مغنية أو غير مغنية والجمع القيان والقين الحداد والجمع القيون وكل عبد هو عند العرب قين وقان الشيء يقينه قيناً إذا أصلحه وزينه أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «وأن يكونوا من أهل التقوى» لعله: وأن لا يكونوا. أو لعله بأن يكونوا (ع).

(٣) قوله: «ولا أدحر» الدحور: الطرد والإبعاد، اهـ صحاح (ع).

فإن قلت: هلا قيل: لا غالباً لكم كما يقال: لا ضارباً زيداً عندنا؟

قلت: لو كان (لكم): مفعولاً لغالب؛ بمعنى: لا غالباً إياكم، لكان الأمر كما قلت؛ لكنه خبر تقديره: لا غالب كائن لكم.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: بالمدينة، ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: يجوز أن يكون من صفة المنافقين، وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام، وعن الحسن: هم المشركون، ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾: يعنون أنّ المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوّون به وينصرون من أجله، فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف، ثم قال جواباً لهم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: ولو عاينت وشاهدت؛ لأن «لو» ترد المضارع إلى معنى الماضي؛ كما ترد «إن» الماضي إلى معنى الاستقبال، و﴿إذ﴾: نصب على الظرف، وقرىء: «يتوفى»، بالياء والتاء، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: رفعها بالفعل، و﴿يَضْرِبُونَ﴾: حال منهم، ويجوز أن يكون في: (يتوفى): ضمير الله ـ عزّ وجلّ ـ و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: مرفوعة بالابتداء، و﴿يَضْرِبُونَ﴾: خبر، وعن مجاهد: وأدبارهم: أستاههم، ولكن الله كريم يكنى، وإنما خصوهما بالضرب؛ لأنّ الخزي والنكال في ضربهما أشدّه، وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن يصبر، ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئاً عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة

= وعبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٣٧٨) رقم (٨١٢٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٦١) رقم (٤٠٦٩)، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٦٥)، رقم (١٦٢٠٤)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٣٢) رقم (٥١٠) إلى الثعلبي في تفسيره.

قال الحافظ: أخرجه مالك في الموطأ من رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً، ومن طريق مالك أخرجه عبد الرزاق والطبري، والبيهقي في الشعب، وانفرد أبو النضر بن إسماعيل بن إبراهيم العجلي عن مالك. فقال عن طلحة عن أبيه قال ابن عبد البر: الصواب مرسل. (تنبيه) هو طلحة ابن بكير، وكريز مصغر، ووقع في المناسك للنووي طلحة بن عبد الله أحد العشرة، وهو وهم بيّن. انتهى.

وله مقبض، فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوّته فيجمد في مكانه، وقيل: يضربون ما أقبل منهم وما أدبر، ﴿وذوقوا﴾: معطوف على (يضربون) على إرادة القول، أي: ويقولون: ذوقوا، ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: مقدمة عذاب النار، أو: وذوقوا عذاب الآخرة، بشارة لهم به، وقيل: كانت معهم مقامع من حديد، كلما ضربوا بها، التهبت النار، أو: ويقال لهم يوم القيامة: ذوقوا، وجواب (لو): محذوف، أي: لرأيت أمراً فظيعاً منكراً ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: يحتمل أن يكون من كلام الله، ومن كلام الملائكة، و(ذلك): رفع بالابتداء، و(بما قدمت): خبره، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: عطف عليه، أي: ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله: ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾؛ لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين، وقيل: ظلام للتكثير لأجل العبيد[1]، أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق، لكان المعذب بمثله ظلاماً بليغ الظلم متفاقمه.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

الكاف في محل الرفع، أي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، ودأبهم: عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه، أي: داوموا عليه وواظبوا،/ ٢٨٠أ و﴿كَفَرُوا۟﴾: تفسير لدأب آل فرعون، و﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما حل بهم، يعني: ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يصحّ في حكمته أن يغير نعمته عند قوم، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا﴾: بهم من الحال.

فإن قلت: فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم؟ ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة.

قلت: كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة، تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام، فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه، وعادوه، وتحزبوا عليه، ساعين في إراقة دمه، غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت، فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لما يقول مكذبو الرسل، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يفعلون، ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: تكرير للتأكيد، وفي

---

(١) قال محمود: «وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد... إلخ» قال أحمد: وبهذه النكتة يجاب عن قول القائل نفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى، فلم عدل عن الأبلغ. والمراد تنزيه الله تعالى وهو جدير بالمبالغة، فهذان الجوابان عتيدان في هذا السؤال.

قوله: ﴿بآيات ربهم﴾: زيادة؛ دلالة على كفران النعم، وجحود الحق، وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب، ﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ﴾: وكلهم من غرقى القبط، وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أصروا على الكفر ولجوا فيه، فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة، عاهدهم رسول الله ـ ﷺ ـ ألاَّ يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح، وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق، وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم، ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾: بدل من الذين كفروا، أي: الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب؛ لأن شر الناس: الكفار، وشر الكفار: المصرون منهم، وشر المصرين: الناكثون للعهود، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾: لا يخافون عاقبة الغدر، ولا يبالون ما فيه من العار والنار، ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾: فإما تصادفنهم وتظفرنّ بهم، ﴿فشرّد بهم من خلفهم﴾: ففرق عن محاربتك، ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم، من وراءهم من الكفرة، حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد؛ اعتباراً بهم واتعاظاً بحالهم، وقرأ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «فشرذ»، بالذال المعجمة، بمعنى: ففرق، وكأنه مقلوب «شذر» من قولهم: «ذهبوا شذر مذر[1]»، ومنه: الشذر: المتلقط من المعدن لتفرّقه، وقرأ أبو حيوة: من خلفهم، ومعناه: فافعل التشريد من ورائهم؛ لأنه إذا شرد الذين وراءهم، فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه؛ لأن الوراء جهة المشردين، فإذا جعل الوراء ظرفاً للتشريد، فقد دلّ على تشريد من فيه، فلم يبق فرق بين القراءتين، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لعل المشردين من ورائهم يتعظون.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾: معاهدين، ﴿خِيَانَةً﴾: ونكثاً بأمارات تلوح لك، ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: فاطرح إليهم العهد، ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على طريق مستو قصد؛ وذلك أن تظهر/ لهم نبذ العهد، وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بيناً أنك قطعت ما بينك وبينهم، ولا تناجزهم الحرب

---

(١) قوله: «وكأنه مقلوب شذر، من قولهم ذهبوا «شذر مذر» بفتحات، أي في كل وجهة. اهـ صحاح (ع).

وهم على توهم بقاء العهد، فيكون ذلك خيانة منك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: فلا يكن منك إخفاء نكث العهد، والخداع، وقيل: على استواء في العلم بنقض العهد، وقيل: على استواء في العداوة، والجار والمجرور في موضع الحال؛ كأنه قيل: فانبذ إليهم ثابتاً على طريق قصد سوي، أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة، على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معاً.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿سَبَقُوٓا۟﴾: أفلتوا وفاتوا من أن يظفر بهم، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم، وقرىء: «أنهم»، بالفتح، بمعنى: لأنهم، كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل، إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف، والمفتوحة تعليل صريح، وقرىء: «يعجِّزون»، بالتشديد، وقرأ ابن محيصن: «يعجزونِ»، بكسر النون، وقرأ الأعمش: «ولا تحسبِ الذين كفروا»، بكسر الباء وبفتحها، على حذف النون الخفيفة، وقرأ حمزة: «ولا يحسبن» بالياء على أن الفعل للذين كفروا، وقيل فيه: أصله أن سبقوا، فحذفت «أن»؛ كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤] واستدل عليه بقراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنهم سبقوا، وقيل: وقع الفعل على أنهم لا يعجزون، على أن «لا»: صلة، وسبقوا في محل الحال، بمعنى: سابقين، أي: مفلتين هاربين، وقيل: معناه: ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا، فحذف الضمير؛ لكونه مفهوماً، وقيل: «ولا يحسبن» قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا، وهذه الأقاويل كلها متمحلة، وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة[1]، وعن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين.

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) قال السمين الحلبي: ـ وقد رد عليه جماعة هذا القول، وقالوا: «لم ينفرد بها حمزة، بل وافقه عليها من قراء السبعة ابن عامر أسنُّ القراء وأعلاهم إسناداً، وعاصم في رواية حفص، ثم هي قراءة أبي جعفر المدنيّ شيخ نافع، وأبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ، وابن محيصن، وعيسى، والأعمش، والحسن البصري، وأبي رجاء، وطلحة، وابن أبي ليلى». وقد رد الشيخ عليه أيضاً أن «لا يَحْسَبَنّ» واقع على «أنهم لا يُعْجِزُونَ» وتكون «لا» صلة، بأنه لا يتأتى على قراءة حمزة، فإن حمزة يقرأ بكسر الهمزة». يعني: فكيف تليتم قراءة حمزة على هذا التخريج؟ قلت: هو لم يلتزم التخريج على قراءة حمزة في الموضعين، أعني: «لا يَحْسَبَنّ» وقوله: «إنَّهم لا يُعجزُونَ»، حتى تلزمه ما ذكر. انتهى. الدر المصون.

﴿مِن قُوَّةٍ﴾: من كل ما يتقوّى به في الحرب من عددها، وعن عقبة بن عامر[1]: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول على المنبر: «أَلاَ إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيَ» ح قالها ثلاثاً (٦٤٨)، ومات عقبة عن سبعين قوساً في سبيل الله، وعن عكرمة: هي الحصون، والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة، ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال، وقرأ الحسن: «ومن رُبط الخيل»، بضم الباء وسكونها جمع رباط، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به؛ كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وعن ابن سيرين ـ رحمه الله ـ أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون؟ فقال: يشتري به الخيل، فترابط في سبيل الله ويغزي عليها، فقيل: له إنما أوصى في الحصون؛ فقال: ألم تسمع قول الشاعر [من الكامل]:

. . . . . أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لاَ مَدَرُ الْقُرَىٰ[2]

---

٦٤٨ ـ أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٢) كتاب الإمارة: باب فضل الرمي والحث عليه حديث (١٦٧/ ١٩١٧)، وأبو داود (٢/ ١٧) كتاب الجهاد: باب في الرمي حديث (٢٥١٤) وابن ماجه (٢/ ٩٤٠) كتاب الجهاد: «باب الرمي في سبيل الله» حديث (٢٨١٣)، وأحمد (٤/ ١٥٧)، وأبو يَعلى (٣/ ٢٨٣) رقم (١٧٤٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٤٤) رقم (٤٢٩٩)؛ كلهم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي علي ثمامة بن شفي عن عقبة بن عامر به.
وأخرجه الدارمي (٢/ ٢٠٤) كتاب الجهاد: باب في فضل الرمي والأمر به، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٤/ ٤٤) رقم (٤٢٩٨)؛ كلاهما من طريق سعيد بن أبي أيوب ثنا يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مرثد بن عبد الله عن عقبة به.
وأخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) كتاب التفسير: باب ومن سورة الأنفال حديث (٣٠٨٣) من طريق صالح بن كيسان عن رجل لم يُسمه عن عقبة بن عامر.
والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٧)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم القراب في كتاب «فضل الرمي».
قال الحافظ: أخرجه مسلم أتم منه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «القوة الرمي، روى عقبة بن عامر أنها الرمي... إلخ» قال أحمد: والمطابق للرمي أن يكون الرباط على بابه مصدراً، والله أعلم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

(٢) ولقد علمت على تجنبي الردى أن الحصون الخيل لا مدر القرى
لأشعر الجعفي، يقول: ولقد تيقنت مع أني متجنب للردى أن الحصون المانعة منه هي الخيل وآلات الحرب لا البناء، كالقلاع التي في القرى. وأتى بقوله: «على تجنبي الردى» لدفع توهم أنه رجل يلقي بنفسه إلى التهلكة فلذلك يحب الحرب، فهو من باب الاحتراس. ويروى: على توقي الردى ـ بتشديد الياء ـ أي: مع أني أتوقى الهلاك. قال رجل لعبيد الله بن الحسن: إن أبي أوصى بثلث ماله للحصون. قال: اذهب فاشتر به خيلاً. قال: إنما ذكر الحصون. فقال: أما سمعت قول الأشعر. فأنشد البيت. =

﴿تُرْهِبُونَ﴾: قرىء بالتخفيف والتشديد، وقرأ ابن عباس ومجاهد ـ رضي الله عنهما ـ: «تخزون» والضمير في: (به): راجع إلى ما استطعتم، ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: هم أهل مكة، ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: هم اليهود، وقيل: المنافقون، وعن السدي: هم أهل فارس/ ٢٨١أ، وقيل: كفرة الجن، وجاء في الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَقْرَبُ صَاحِبَ فَرَسٍ وَلاَ دَاراً فِيهَا فَرَسٌ عَتِيقٌ» (٦٤٩)، وروي أن صهيل الخيل يرهب الجن.

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

جنح له وإليه: إذا مال، والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب، قال: [البسيط]

السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ ... وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ[1]

وقرىء: بفتح السين وكسرها، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩] وعن مجاهد بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، والصحيح: أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم، وليس بحتم أن يقاتلوا أبداً، أو يجابوا إلى الهدنة أبداً، وقرأ الأشهب العقيلي: «فَاجْنُحْ» بضم النون، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم؛ فإنّ الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم، قال مجاهد: يريد قريظة.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ

---

٦٤٩ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٧/ ١٨٩) رقم (٥٠٦)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ٣٠٢) رقم (٣٧٨٦)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٣٤) إلى ابن عدي في الكامل، وإلى الواحدي في أسباب النزول، وإلى ابن مرديه في تفسيره.
قال الحافظ: لم أجده هكذا، وروى ابن سعد والطبراني وابن عدي من رواية سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده. رفعه في قوله عز وجل: ﴿وآخرين من دونهم ـ الآية﴾ قال: هم الجن، ولن يختل الشيطان إنساناً في داره فرس عتيق، وأعله ابن عدي بسعيد بن سنان، وضعفه عن أبي معين، وغيره، وله شاهد من رواية الوضين بن عطاء عن سليمان بن موسى مرسلاً، ولابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال: هو الشيطان، لا يقرب ناصية فرس، وإسناده واه. وقوله: «روي أن صهيل الخيل يطرد الجن» لم أجده. انتهى.

= لعبد الرحمن بن حسان في خزانة الأدب ٤/ ٤٧١، والدرر ٤/ ٦٠، والكتاب ٣/ ١٥٣، ولسعيد بن عبد الرحمن بن حسان في شرح أبيات سيبويه ٢/ ١٦٨، ولبعض المحدثين في العقد الفريد ٣/ ٢٠، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ٤١٨، وهمع الهوامع ٢/ ٣.

(١) مر شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير آية ٢٠٨ من سورة البقرة فراجعه إن شئت اهـ.

بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ فإن محسبك الله؛ قال جرير [من الكامل]:

إِنِّي وَجَدْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حَسْبَكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا خَزَّ الثِّيَابِ وَتَشْبَعُوا[1]

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: التأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله ـ ﷺ ـ من الآيات الباهرة؛ لأنّ العرب ـ لما فيهم من الحمية والعصبية، والانطواء على الضغينة في أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا ـ لا يكاد يأتلف منهم قلبان، ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله ـ ﷺ ـ واتحدوا، وأنشؤوا يرمون عن قوس واحدة؛ وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم، وأحدث بينهم من التحاب والتوادّ، وأماط عنهم من التباغض والتماقت، وكلفهم من الحب في الله، والبغض في الله، ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب، فهو يقلبها كما شاء، ويصنع فيها ما أراد، وقيل: هم الأوس والخزرج، كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم، ورؤساءهم، ودق جماجمهم، ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى، وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس، وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه، فأنساهم الله ـ تعالى ـ ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة، وتصافوا، وصاروا أنصاراً، وعادوا أعواناً، وما ذاك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾: الواو بمعنى: مع وما بعده منصوب، تقول: حسبك وزيداً درهم، ولا تجرّ؛ لأنّ عطف الظاهر المجرور على المكنيّ ممتنع؛ قال: [الطويل]

..... فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ[2]

---

(١) إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
فإذا تذوكرت المكارم مرة في مجلس أنتم به فتقنعوا

لجرير، أي: إني وجدت كافيكم من المكارم لبس الخز من الثياب والشبع من الطعام والشراب، وجعلهما من المكارم تهكماً بهم. أو على زعمهم، أو المعنى: مغنيكم عنها هاتان الخصلتان، فمن للبدل، أو المعنى: إن كان ذلك من المكارم فهو كافيكم لمبالغتكم فيه. ويروى: حر الثياب، بمهملتين، أي جيدها. وتذوكرت: مبني للمجهول، أي: فإذا تذاكر الناس بالمكارم ولو مرة واحدة فغطوا وجوهكم حياء كالنساء فلستم من المكارم في شيء.

(٢) إذا كانت الهيجاء واشتقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند

يقول: إذا وجدت الحرب وافترقت العصبة ووقع الخلاف وظهر الشر فيكفيك مع الضحاك سيف مطبق من حديد الهند، فانشقاق العصا تمثيل لوقوع الخلاف وظهور الشر. وحسب: اسم فعل =

والمعنى: كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصراً[1] أو يكون في محل الرفع، أي: كفاك الله وكفاك المؤمنون، وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: نزلت في إسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ وعن سعيد بن جبير أنه أسلم مع النبي ـ ﷺ ـ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة/ ٢٨١ب ثم أسلم عمر؛ فنزلت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

التحريض: المبالغة في الحث على الأمر من الحرض، وهو أن ينهكه المرض، ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت، أو أن تسميه حرضاً؛ وتقول له: ما أراك إلا حرضاً في هذا الأمر وممرضاً فيه، ليهيجه ويحرّك منه، ويقال: حركه، وحرضه، وحرصه، وحرشه، وحربه، بمعنى، وقرىء: «حرص»، بالصاد غير المعجمة، حكاها الأخفش، من الحرص، وهذه عدة من الله، وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا، غلبوا عشرة

= بمعنى يكفي. والكاف مفعوله. والضحاك مفعول معه. وسيف فاعله. والجمهور على أنه صفة مشبهة بمعنى كافي مبتدأ، والكاف مضاف إليه. وسيف خبره. والضحاك مفعول لمحذوف، أي يكفي لأن الصفة المشبهة لا تنصب المفعول معه. وروي الضحاك بالجر، أي: وحسب الضحاك، وبالرفع على إنابته مناب «حسب» المحذوف. والواو للمعية على الأول، وللعطف على غيره ويروى: عضب مهند. والعضب: السيف القاطع.

ينظر: ذيل الأمالي (١٤٠)، خزانة الأدب ٧/ ٥٨١، سمط اللآلي (٨٩٩)، شرح الأشموني ١/ ٢٢٤، شرح شواهد الإيضاح ٣٧٤، شرح شواهد المغني ٢/ ٩٠٠، شرح المفصل ٢/ ٥١، لسان العرب (هيج)، (عصا)، مغني اللبيب ٢/ ٥٦٣، المقاصد النحوية ٣/ ٨٤، القرطبي ١/ ٢٨٥، الدر المصون ١/ ٢٣٧. فتح القدير ١/ ٥٠٢.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا مخالف كلام سيبويه؛ فإن قال: «حَسْبُكَ وزيداً دِرْهم، لما كان فيه معنى: كفاك، وقبح أن يحملوه على المضمر دون الفعل، كأنه قال: حَسْبُكَ ويُحْسِبُ أخاك درهم». ثم قال: وفي ذلك الفعل المضمر ضمير يعود على «الدرهم»، والنية بـ «الدرهم» التقديم، فيكون من عطف الجمل. ولا يجوز أن يكون من باب الإعمال، لأن طلب المبتدأ للخبر وعمله فيه ليس من قبيل طلب الفعل، أو ما جرى مَجْراه، ولا عمله، فلا يتوهم ذلك فيه». قلت: وقد سبق الزمخشري إلى كونه مفعولاً معه الزجاج، إلا أنه جعل «حسب» اسم فعل، فإنه قال: «حسب: اسم فعل، والكاف نصب، والواو بمعنى مع». وعلى هذا يكون «اللَّهُ» فاعلاً، وعلى هذا التقدير يجوز في «وَمَنْ» أن يكون معطوفاً على الكاف، لأنها مفعول باسم الفعل، لا مجرور، لأن اسم الفعل لا يضاف. انتهى. الدر المصون.

أمثالهم من الكفار بعون الله ـ تعالى ـ وتأييده، ثم قال: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: بسبب أنَّ الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم، فيقل ثباتهم، ويعدمون؛ لجهلهم بالله نصرته، ويستحقون خذلانه، خلاف من يقاتل على بصيرة، ومعه ما يستوجب به النصر والإظهار من الله تعالى، وعن ابن جريج: كان عليهم ألاَّ يفروا، ويثبت الواحد منهم للعشرة، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ بعث حمزة ـ رضي الله عنه ـ في ثلاثين راكباً، فلقي أبا جهل في ثلثمائة راكب، قيل: بم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه؛ وذلك بعد مدّة طويلة، فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين، وقيل: كان فيهم قلة في الابتداء، ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف، وقرىء: «ضعفاً»، بالفتح والضم، كالمكث والمكث، والفقر والفقر، «وضعفاً»: جمع ضعيف، وقرىء: الفعل المسند إلى المائة بالتاء والياء في الموضعين، والمراد بالضعف: الضعف في البدن، وقيل: في البصيرة والاستقامة في الدين، وكانوا متفاوتين في ذلك.

فإن قلت: لِمَ كرَّر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرّتين قبل التخفيف وبعده؟

قلت: للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت؛ لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف؛ وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

وقرىء: «للنبي»، على التعريف، «وأسارى»، «ويثّخن»، بالتشديد، ومعنى الإثخان: كثرة القتل والمبالغة فيه، من قولهم: أثخنته الجراحات: إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة، وأثخنه المرض: إذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة، يعني: حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله، ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر، ثم الأسر بعد ذلك، ومعنى: ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح له وما استقام، وكان هذا يوم بدر، فلما كثر المسلمون نزل: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، وروي أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أتى بسبعين أسيراً فيهم العباس عمه، وعقيل بن أبي طالب، فاستشار أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فيهم فقال: قومك وأهلك استبقهم لعلّ الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك، وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: كذبوك وأخرجوك/ ٢٨٢أ فقدّمهم واضرب أعناقهم؛ فإنّ هؤلاء أئمة الكفر، وإن الله أغناك عن الفداء: مكن عليًا من عقيل، وحمزة

من العباس، ومكني من فلان لنسيب له، فلنضرب أعناقهم، فقال ـ ﷺ ـ: «إِنَّ اللهَ لَيُلَيِّنَ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّىٰ تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّىٰ تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الحِجَارَةِ، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وَمِثْلَكَ يَا عُمَرَ مِثْلَ نُوحٍ، قَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾، ثم قال لأصحابه: أَنْتُمُ اليَوْمَ عَالَةٌ فَلاَ يَفْلِتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبِ عُنُقٍ». وروي أنه قال لهم: «إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ، وَاسْتُشْهِدَ مِنْكُمْ بِعِدَّتِهِمْ» فقالوا: بل نأخذ الفداء، فاستشهدوا بأحد، وكان فداء الأساري عشرين أوقية، وفداء العباس أربعين أوقية (٦٥٠)، وعن محمد بن سيرين: كان فداؤهم مائة أوقية، والأوقية: أربعون درهماً وستة دنانير (٦٥١)، وروي أنهم لما أخذوا الفداء، نزلت الآية، فدخل عمر على رسول الله ـ

---

٦٥٠ ـ أخرجه مسلم (٦/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ـ النووي) كتاب الجهاد والسير: باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، حديث (٥٨/ ١٧٦٣)، وأخرجه أبو داود (٣/ ٦١): كتاب الجهاد: باب في فداء الأسير بالمال، حديث (٢٦٩٠) والترمذي (٥/ ٢٦٩): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنفال، حديث (٣٠٨١) من حديث عمر بنحوه.

وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) رقم (١٦٣٠٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) عن عبد الله بن عباس عن عمر به.

وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤)، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٨٧) رقم (١٦٣٠٧) من طريق عبد الله بن مسعود عن عمر به.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٣٦) رقم (٥١٣) إلى ابن مردويه في تفسيره إلى الواحدي في أسباب النزول.

قال الحافظ: قوله: «وروي أنه قال لهم: إن شئتم قتلتم وإن شئتم فأديتموهم، واستشهد منكم بعدتهم: فقالوا: بلى. فأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد» أخرجه الطبري من طريق أشعث بن سواد عن محمد بن سيرين عن عبيدة هو ابن عمرو قال: «أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين، فقال رسول الله ﷺ اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء. فتتقوا به على عدوكم، ويقتل منكم سبعين، أو تقتلوهم، فقالوا: بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منا سبعون، قال: فأخذوا منهم الفدية، وقتل سبعون، ورواه ابن مردويه موصولاً من طريق ابن عون. عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي، وزاد فيه: قال: «وكان آخر السبعين ثابت بن قيس بن شماس»، وروى الواقدي في المغازي من طريق يحيى بن أبي كثير. عن علي. قال: «أتى جبريل النبي ﷺ يوم بدر فخيره في الأسرى. أن يضرب أعناقهم. أو يأخذ منهم الفداء ويستشهد منكم من قابل عدتهم. الحديث مع ضعفه وهو منقطع. انتهى.

٦٥١ ـ أخرجه الطبري من طريق عبيدة بن عمر قال: كان فداء أسارى بدر مئة أوقية، و«الأوقية» أربعون درهماً، ومن الدنانير ستة دنانير (٦/ ٢٨٩) رقم (١٦٣١٨).

قال الحافظ: قوله: «وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية، والأوقية أربعون درهماً وستة دنانير». أما كون الفداء كان عشرين أوقية. فروى الطبري من طريق عبيدة بن عمر قال: «كان فداء أسارى بدر مائة أوقية والأوقية أربعون درهماً، ومن الدنانير ستة دنانير. وأما فداء =

ﷺ ـ فإذا هو وأبو بكر يبكيان، فقال: يا رسول الله، أخبرني، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت، فقال: «أَبْكِي عَلَى أَصْحَابِكَ فِي أَخْذِهِمْ الفِدَاءَ، وَلَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابَهُمْ أَدْنَىٰ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةَ ـ لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ» (٦٥٢) وروي أنه قال: «لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمَا نَجَا مِنْهُ غَيْرُ عُمَرُ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ لِقَوْلِهِ: كَانَ الإِثْخَانُ فِي القَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ» (٦٥٣). ﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: حطامها؛ سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث، يريد: الفداء، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ يعني: ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل، وقرىء: «يريدون»، بالياء، وقرأ بعضهم: «والله يريد الآخرةِ»، بجرّ الآخرة على حذف المضاف، وإبقاء المضاف إليه على حاله؛ كقوله [من المتقارب]:

أَكُلَّ ٱمْرِىءٍ تَحْسَبِينَ ٱمْرَأً ... وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا[1]

= العباس ـ رضي الله عنه ـ فروى ابن مردويه من طريق علي وابن عباس، قال: كان العباس يوم بدر أسيراً فافتدى نفسه بأربعين أوقية ذهب»، وروى ابن مردويه. من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «لما كان يوم بدر أسر سبعون فجعل عليهم رسول الله ﷺ أربعين أوقية ذهباً، وجعل على عمه العباس مائة أوقية: وعلى عقيل ثمانين، فقال: للقرابة صنعت هذا. الحديث. انتهى.

٦٥٢ ـ أخرجه أحمد (١/ ٣٠ ـ ٣١)، والطبري (٦/ ٢٨٧) رقم (١٦٣٠٧) من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود.
وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه منقطع.
قال الحافظ: أخرجه أحمد والطبري. من رواية الأعمش عن عمر بن سمرة عن أبي عبيدة عن عبد الله فذكره مطولاً. انتهى.

٦٥٣ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٢٩١) رقم (١٦٣٣٣ ـ ١٦٣٣٤) وعزاه الزيلعي إلى الثعلبي والبغوي في تفسيريهما؛ كما عزاه إلى الواقدي في كتابه المغازي (٢/ ٣٩) رقم (٥١٤).
قال الحافظ:
أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق قال: «لم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر بدراً إلا أحب الغنائم غير عمر بن الخطاب؛ فإنه جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه، وقال سعد بن معاذ: يا رسول الله الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال، فقال رسول الله ﷺ: «لو نزل من السماء عذاب لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ»، ورواه الواقدي في المغازي من وجه آخر منقطع بمعناه. وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر رفعه: «لو نزل العذاب. ما أفلت منه إلا ابن الخطاب». انتهى.

---

(١) لأبي دؤاد. وقيل لحارثة بن حمران الإيادي، وهو من أبيات الكتاب. والهمزة للاستفهام الإنكاري، يخاطب امرأة، أو نفسه، أي: لا تحسبي أن كل رجل رجل كامل، ولا تحسبي أن كل نار تتوقد في الليل نار متوقدة لقرى الضيفان، يعني أن الرجل هو الكريم الشجاع، والنار هي نار القرى لا غير. وحذف المضاف مع بقاء المضاف إليه على حالة الإضافة مطرد، إذا عطف على مثله ليدل عليه كما =

ومعناه: والله يريد عرض الآخرة، على التقابل، يعني: ثوابها، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: يغلب أولياءه على أعدائه، ويتمكنون منهم قتلاً وأسراً ويطلق لهم الفداء، ولكنه: ﴿حَكِيمٌ﴾، يؤخر ذلك إلى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون، ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾: لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح، وهو أنه لا يعاقب أحد بخطأ، وكان هذا خطأ في الاجتهاد؛ لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سبباً في إسلامهم وتوبتهم، وأنّ فداءهم يتقوّى به على الجهاد في سبيل الله، وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام، وأهيب لمن وراءهم، وأفل لشوكتهم، وقيل: كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها، وقيل: إن أهل بدر مغفور لهم، وقيل: إنه لا يعذب قوماً إلا بعد تأكيد الحجة، وتقديم النهي، ولم يتقدم نهي عن ذلك، ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾/ ٢٨٢ب: روي أنهم أمسكوا عن الغنائم، ولم يمدّوا أيديهم إليها؛ فنزلت، وقيل: هو إباحة للفداء؛ لأنه من جملة الغنائم، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

فإن قلت: ما معنى الفاء؟

قلت: التسبيب، والسبب محذوف، معناه: قد أبحت لكم الغنائم، فكلوا مما غنمتم، و«حلالاً»: نصب على الحال من المغنوم، أو صفة للمصدر، أي: أكلاً حلالاً، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ معناه: أنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه، غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾

= هنا، وإلا فهو سماعي، بل مطرد عند الكوفيين ولو بغير عطف. ونار مجرور بمضاف محذوف؛ ولا يصح عطفه على امرئ. وعطف المنصوب على المنصوب لئلا يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين، وهما «كل» و«تحسبين» وهو ممنوع عند سيبويه ومن وافقه.
لأبي دؤاد في ديوانه ص ٣٥٣، والأصمعيات ص ١٩١، وأمالي ابن الحاجب ١/ ١٣٤، ٢٩٧، وخزانة الأدب ٩/ ٥٩٢، ١٠/ ٤٨١، والدرر ٥/ ٣٩، وشرح التصريح ٢/ ٥٦، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٩٩، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٠٠، وشرح عمدة الحافظ ص ٥٠٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٢٦، والكتاب ١/ ٦٦، والمقاصد النحوية ٣/ ٤٤٥، ولعدي بن زيد في ملحق ديوانه ص ١٩٩، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/ ٤٩، والإنصاف ٢/ ٤٧٣، وأوضح المسالك ٣/ ١٦٩، وخزانة الأدب ٤/ ٤١٧، ٧/ ١٨٠، ورصف المباني ص ٣٤٨، وشرح الأشموني ٢/ ٣٢٥، وشرح ابن عقيل ص ٣٩٩، وشرح المفصل ٣/ ٧٩، ١٤٢، ٨/ ٥٢، ٩/ ١٠٥، والمحتسب ١/ ٢٨١، ومغني اللبيب ١/ ٢٩٠، والمقرب ١/ ٢٣٧، وهمع الهوامع ٢/ ٥٢.

﴿فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾: في ملكتكم، كأن أيديكم قابضة عليهم، وقرىء: «من الأسرى»، ﴿فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾: خلوص إيمان وصحة نية، ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾: من الفداء، إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه، أو يثيبكم في الآخرة، وفي قراءة الأعمش: «يثبكم خيراً»، وعن العباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كنت مسلماً، لكنهم استكرهوني، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إِنْ يَكُنْ مَا تَذْكُرُهُ حَقًّا فَاللهُ يَجْزِيكَ» فأما ظاهر أمرك، فقد كان علينا (٦٥٤) وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك. وروي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال للعباس: «افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، فقال: يا محمد، تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت، فقال له: «فَأَيْنَ الذَّهَبُ الَّذِي دَفَعْتَهُ إِلَىٰ أُمِّ الفَضْلِ وَقْتَ خُرُوجِكَ مِنْ مَكَّةَ وَقُلْتَ لَهَا: لاَ أَدْرِي مَا يُصِيبَنِي فِي وَجْهِيَ هٰذَا، فَإِنْ حَدَثَ بِيَ حَدَثٌ فَهُوَ لَكِ وَلِعَبْدِ اللهِ وَعُبَيْدِ اللهِ وَالْفَضْلِ»، فقال العباس: وما يدريك؟ قال: «أَخْبَرَنِي بِهِ رَبِّي» قال العباس: فأنا أشهد أنك صادق، وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، والله لم يطلع عليه أحد إلا الله، ولقد دفعته إليها في سواد الليل، ولقد كنت مرتاباً في أمرك، فأمّا إذ أخبرتني بذلك فلا ريب، قال العباس ـ رضي الله عنه ـ: فأبدلني الله خيراً من ذلك، لي الآن عشرون عبداً، إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً، وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي (٦٥٥)، وروي أنه قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ مال البحرين ثمانون ألفاً، فتوضأ لصلاة الظهر، وما صلى حتى فرقه، وأمر العباس أن يأخذ منه ما قدر على حمله، وكان يقول: هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة (٦٥٦)، وقرأ الحسن وشيبة: «مما أخذ منكم»، على البناء للفاعل.

---

٦٥٤ ـ ينظر الحديث القادم.

قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في المغازي، والحاكم من طريقه ـ حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة من فداء أأسرهم، وبعثت زينب من فداء أبي العاص.

قال العباس: يا رسول الله، إني كنت مسلماً. فذكره. انتهى.

٦٥٥ ـ أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٣/ ٣٢٤)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص (٣٥٩)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٤٢) إلى ابن مردويه في تفسيره في سورة الفرقان.

قال الحافظ: هو الذي قبله بتمامه بالإسناد المذكور. ورواه أبو نعيم في الدلائل من طريق إسحاق: حدثني بعض أصحابنا عن مقسم عن ابن عباس، بمعناه مطولاً. ورواه ابن مردويه من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس بمعناه، وفيه محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف، وقوله: «وكان العباس أحد الذين ضمنوا إطعام بدر، وخرج بالذهب لذلك» لم أجد هذا.

٦٥٦ ـ أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٣/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٩٢) رقم (١٦٣٣٧)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٣٦٩)، وعزاه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٤٢) إلى الثعلبي في تفسيره عن قتادة به. =

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ﴾: نكث ما بايعوك عليه من الإسلام، والردّة واستحباب دين آبائهم، ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: في كفرهم به، ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه، ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة، وقيل: المراد بالخيانة: منع ما ضمنوا من الفداء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

الذين هاجروا، أي: فارقوا أوطانهم، وقومهم؛ حبًّا لله ورسوله/ ٢٨٣أ: هم المهاجرون، والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم: هم الأنصار، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: يتولى بعضهم بعضاً في الميراث، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات، حتى نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقرىء: «من ولايتهم»، بالفتح والكسر، أي: من توليهم في الميراث، ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضاً شبه بالعمل والصناعة؛ كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمراً ويباشر عملاً، ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾: فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين، ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: منهم، ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم﴾: عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم؛ لأنهم لا يبتدؤون بالقتال، إذ الميثاق مانع من ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: ظاهره إثبات الموالاة بينهم؛ كقوله تعالى في المسلمين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ومعناه: نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا، وموارثتهم، وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم، وإن كانوا أقارب، وأن يتركوا

= قال الحافظ: أخرجه الطبري حدثنا بشرين بن معاذ حدثنا يزيد. حدثنا سعد بن أبي عروبة. عن قتادة هكذا. وروى الحاكم في فضائل العباس من طريق سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال. عن أبي موسى: «أن العلاء بن الحضرمي بعث إلى رسول الله ﷺ من البحرين بثمانين ألفاً فأمر بها فنثرت على الحصير، ونودي بالصلاة... الحديث». انتهى.

يتوارثون بعضهم بعضاً ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضاً حتى في التوارث، تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار، ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة، لأنّ المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك، كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً، وقرىء: «كثير» بالثاء.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾؛ لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه، بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن، ومفارقة الأهل، والانسلاخ من المال، لأجل الدين، وليس بتكرار؛ لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم، والشهادة لهم[1]، مع الموعد الكريم، والأولى للأمر بالتواصل، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾: يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة؛ كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، ألحقهم بهم، وجعلهم منهم؛ تفضلاً منه، وترغيباً، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾: أولو القرابات أو أولى بالتوارث، وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة، ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: تعالى في حكمه وقسمته، وقيل: في اللوح، وقيل: في القرآن، وهو آية المواريث؛ وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ على توريث ذوي الأرحام.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الأَنْفَالِ وَبَرَاءَةَ فَأَنَا شَفِيعٌ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَشَاهِدٌ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ النِّفَاقِ وَأُعْطِيَ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ، وَكَانَ العَرْشُ وَحَمَلَتُهُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا» (٦٥٧).

---

٦٥٧ ـ أخرجه الواحدي في تفسيره (٢/٤٤٣)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٤٣) إلى الثعلبي، وابن مردويه في تفسيريهما.
وانظر حديث (٣٤٦).
قال الحافظ: ذكرت أسانيده في تفسير آل عمران. انتهى.

---

(١) قوله: «والشهادة لهم» لعله: والشهادة لهم بالإيمان (ع).